موعظة
البقاع الشريفة
بمكة والمدينة

خلاصة ميسرة للتعريف ببركة الأماكن الشريفة
وما تحمله من عظات وعبر

راجى عفو ربه
الدكتور / محمد محمد داود

٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ [الفتح]

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبى الله ورسوله سيدنا محمد رحمة الله للعالمين، وبعد :

فإن البقاع الشريفة بمكة والمدينة قد شهدت أعظم الطاعات لله رب العالمين، وارتبطت بمواقف خالدة فى تاريخ الدعوة وإقامة دين الله تعالى والجهاد فى سبيله. وحسب هذه الأماكن شرفًا وفضلاً ما ورد مدحًا لها، وذكرًا كريمًا فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ولقد حث رسول الله سيدنا محمد ﷺ على زيارة هذه البقاع الشريفة لتظل الموعظة للمؤمنين بهذه الأماكن حيةً ينتفع بها إلى يوم القيامة.

ولقد لمست عن قربٍ شوقَ وفود الحجاج والمعتمرين وتطلعهم إلى معرفة الحقائق الإيمانية والدروس والعبر التى

تفيض بها هذه الأماكن الشريفة المباركة.

فأدركت أن المسئولية تقع على عبء الدعاة والعلماء الذين يصحبون تلك الوفود من الحجاج والعمَّار، وقد يكون لسادتنا العلماء عذر فى ضيق الوقت المتاح هناك، فلا يتسع لبيان بركة هذه الأماكن الشريفة والمواعظ والدروس التى بها، وذلك لشغلهم فى بيان مناسك الحج ومناسك العمرة. ولا يخفى على بصير فاهم أن الوقت اليسير الذى نقضيه عند كل مكان من هذه الأماكن فى صحبة الوفود لا يكفى لبيان المطلوب، ونكتفى ببيان مختصر مركز أشبه بالعناوين الأساسية والعناصر الهامة لموضوع الحديث.

وبتوفيق من الله تعالى نشطَت همتى لإعداد هذه الخلاصة الميسرة، لتكون دليلاً واضحًا وبيانًا شافيًا لبركة وفضل هذه الأماكن الشريفة بمكة والمدينة، زادهما الله إجلالاً وتشريفًا، ومن مقاصد هذه الخلاصة أيضًا الوقوف بالمؤمن على الدروس والعبر التى ارتبطت بهذه البقاع، وما من شك فى أن فقه المكان - إن جاز هذا التعبير - يسهم

فى تنمية فضيلتين عند المؤمن :

الأولى : زيادة الإيمان بالله تعالى وصدق الحب لرسول الله ﷺ ولصحابته الكرام (رضى الله عنهم).

الثانية : رفع همة المؤمن فى التأسى بسيدنا النبى ﷺ وبصحابته الكرام فى إقامة دين الله تعالى.

وبذلك يُحصِّل المؤمن فضل الزيارة وبركتها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

راجى عفو ربه

محمد محمد داود

مكتبة العلماء

بمعهد معلمى القرآن الكريم

ت : ٥٦٨٥١٢٢

فى رحاب
المدينة المنورة

● فضل المدينة المنورة :

■ المدينـــة مدخل صدق :

* عن ابن عباس (رضى الله عنهما) ، قال : كان النبى ﷺ بمكة، ثم أمرنا بالهجرة، فنزلت[١] عليه ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء/٨٠].

■ المدينة حرم رسول الله ﷺ :

* عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ، عن النبى ﷺ قال : «المدينة حرم، فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى مُحدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه يوم القيامة عَدْلٌ ولا صرفٌ». متفق عليه، واللفظ لمسلم[٢].

---

(١) مسند أحمد : ١ : ٢٢٣ .

وسنن الترمذى : كتاب تفسير القرآن ، باب: من سورة بنى إسرائيل، رقم/٢١٣٩ ، وانظر تفسير ابن كثير: ٣/٥٩،.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة رقم / ٤٦٩ .

* عن جابر (رضى الله عنه) قال : قال النبى ﷺ : «إن إبراهيم حَرَّم مكة، وإنى حرمت المدينة ما بين لاَبَّتيها، لا يُقطع عِضاهُها ، ولا يُصاد صيدها»(١).

العضاه : كل شجر فيه شوك، مفردها: عضاهة وعضيهة.

لابتيها : مثنى، ومفرده : لابَّة، وهى الحَرَّة،أى الأرض الملبسة بحجارة سوداء، وللمدينة لابتان : شرقية وغربية.

■ البركة فى المدينة مضاعفة :

* عن عبد الله بن زيد المازنى (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال : « إن إبراهيم حرم مكة، ودعا لأهلها، و إنى حرمت المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة، وإنى دعوت فى صاعها ومُدها بمثلَى ما دعا به إبراهيم لأهل مكة». متفق عليه ، واللفظ لمسلم(٢).

* عن أنس (رضى الله عنه) ، عن النبى ﷺ ، قال : «اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة» رواه البخارى(٣).

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج، باب فضل المدينة. رقم / ٤٥٨.
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الحج، باب فضل المدينة ، رقم /٤٥٤ .
(٣) صحيح البخارى : كتاب الحج، باب اجعل بالمدينة، ٢/٢٢٤.

■ **فضل تمر المدينة :**

* عن سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سمٌّ حتى يمسى»[١].

* وعنه أيضًا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من تصبَّح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سمٌّ ولا سِحْر»[٢].

■ **الإيمان يأرِزُ إلى المدينـة :**

* عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسـول الله ﷺ قال: «إن الإيمان لَيـأرِزُ إلى المدينة كمـا تأرِزُ الحـيـة إلى جحرها»[٣]. ويأرِز : أى يلوذ ويرجع[٤].

وفى هذا دليل على بقاء الإيمان واستقراره فى المدينة وفى أهلها إن شاء الله تعالى.

(١)، (٢) صحيح مسلم ، كتاب الأطعمة، باب فضل تمر المدينة ٢/ ٢١٩.
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان : باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا ، رقم /٢٣٢.
(٤) لسان العرب : مادة (أرز).

■ المدينة لا يدخلها الدجال :

* عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نَقْبٌ من أنقابها إلا عليه الملائكة صافِّين تحرسها»[١].

الأنقاب : جمع نَقْب ، وهو الطريق بين الجبلين، أو الفُرجة بن الجبلين، ومنه النقب فى الجدار[٢]، ولعله يلحق بها الأنفاق التى تبنى تحت الأرض فى وقتنا المعاصر.

■ شفاعته ﷺ لمن يصبر على شدتها :

لقد حث رسول الله ﷺ على سكنى المدينة، وعلى المجاورة فيها ، وقد يصاب الساكن بضيق فيها فى أمر من أمور الدنيا، فعلى المؤمن أن يصبر ويتصبر، ولا يترك المدينة طلبًا لرخاء العيش، وإن من يخرج منها بهذه الحالة فَسَتُعوَّضُ المدينة من هو خير منه.

(١) صحيح مسلم: كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، رقم /١٢٣.

(٢) لسان العرب : مادة (ن ق ب).

أما الخروج من المدينة لنشر العلم أو للجهاد فى سبيل الله تعالى، فهو أمر فعله الصحابة (رضى الله عنهم) ، والجهاد فى سبيل الله من أفضل القربات إلى الله تعالى.

فلينتبه المؤمن إلى الفرق بين الحالين.

وقد وردت أحاديث نبوية فى هذا الباب ، منها :

* عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال : «لا يصبر على لأواء[1] المدينة وشدتها أحد من أمتى إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة أو شهيدًا »[2].

* عن سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) ، قال : قال رسول الله ﷺ : «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجَهْدِها إلا كنت له شفيعًا (أو شهيدًا) يوم القيامة»[3].

---

(١) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة، وقيل: القحط، لسان العرب : مادة (ل أ ى).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج، باب الترغيب فى سكنى المدينة والصبر على لأوائها، رقم /٤٨١ .

(٣) صحيح مسلم :كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم/٤٥٩.

■ أسماء المدينة :

أشار العلماء إلى أن كثرة أسماء المدينة فيه دلالة على مزيد فضلها وشرفها، ولقد كان يقال للمدينة قبل مجيء رسول الله ﷺ إليها : يثرب، فلما أشرقت برسول الله ﷺ وجاء إليها سماها : المدينة ، وطيبة، وطابة، ودار الهجرة، ودار الإيمان، ونهى ﷺ عن تسميتها يثرب ، وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة بشأن تسمية المدينة ، منها :

* عن جابر بن سمرة (رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله تعالى سمى المدينة طابة». رواه مسلم[1].

وطابة ، وطيبة : لها دلالات :

١ - تدل على الطِّيب وهو الرائحة الحسنة المستحبة.

٢ - تدل على الطَيِّب ، وهو الطاهر والحَسن ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [الحج/ ٢٤]، وقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر/١٠].

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفى شرارها ، رقم /٤٩١.

٣ - تدل على طيبها لساكنها وما ينعم به من بركات في رحابها.

* عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يقولون يثرب، وهي المدينة» (١).

وصار اسم المدينة علمًا على البلدة المباركة دار هجرة رسول الله ﷺ، وجاء التصريح بهذا الاسم في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ [المنافقون/٨].

● مساجد المدينة وما يتصل بها:

■ المسجد النبوي الشريف:

مكان المسجد النبوي الشريف من اختيار الله تعالى: فقد كان النبي ﷺ راكبًا راحلته، وكان الأنصار (رضي الله عنهم) كلما مر بقوم منهم دعوه إلى النزول عندهم، فكان النبي ﷺ

(١) جزء من حديث للإمام مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها، رقم /٤٨٨.

يقول لهم : «دعوها فإنها مأمورة». حتى أناخت عند باب المسجد[1].

■ **شراء النبى ﷺ أرض المسجد النبوى الشريف :**

كانت الأرض التى أناخت فيها راحلة النبى ﷺ عند الهجرة موضعًا يجفف فيه التمر، وبعضه كان بستانًا، كما وردت نصوص الأحاديث النبوية بذلك.

وقد أرسل النبى ﷺ إلى ملأٍ من بنى النجار، وقال ﷺ: «ثامنونى بحائطكم هذا». فقالوا : لا والله ، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله.

وأرسل النبى ﷺ لسُهيل وسهل الغلامين اليتيمين، أصحاب مربد التمر ليشترى منهما هذا المكان، فقال الغلامان: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبَى ﷺ حتى ابتاعه منهما ، وفى هذا رعاية من النبى ﷺ لحالهما.

(١) انظر : السيرة لابن هشام ٢٣٧/٢ ، طبقات ابن سعد: ٢٣٦/١، و فتح البارى: ٢٤٥/٧.

■ كيف بُنى المسجد النبوى الشريف ؟

قام بناء المسجد النبوى الشريف على البساطة والبعد عن التكلف، ولما طلب بعض أصحابه أن يبنوه على غرار أبنية الشام وما بها من زينة البناء، قال ﷺ : «عريش كعريش موسى، والأمر أعجلُ من ذلك»[١].

وبنى المسجد النبوى من اللَّبِن ، وكان سقفه من جريد النخيل، وأعمدته من جذوع النخل وخشبه.

وفى هذا تأكيد من النبى ﷺ على أن الأَوْلَى فى عمارة المساجد والذى ينبغى أن يكون فى المقدمة، هو عمارتها بالذكر والطاعة والصلاة وإقامة دين الله عز وجل، لا أن يتباهى الناس داخل المساجد بألوان الزينة المختلفة ويهملوا الأساس فى عمارتها من الذكر والطاعات.

ولا بُد لأثرياء المسلمين من إعادة النظر فى توجيه نفقتهم، فالأولى أن توجه النفقة إلى رعاية أطفال المسلمين ورعاية مرضاهم وأيتامهم ومحتاجيهم، وعلى الدعوة فى

(١) راجع : دلائل النبوة ٢/٥٤١ ، و فضائل المدينة / ٣٥.

سـبـيل الله تعـالى ، وعلى مـجـالس القـرآن والعلم النافع ، وعلى البحوث العلمية النافعة للعالم الإسلامى؛ وبهذا يتحقق للأمة خيريتها التى كرمها الله بها ، قال تعالى : ﴿ كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران/١١٠].

وهذه هى العمارة الحقيقية للمساجد، أما أن تبنى الصروح الضخمة، وتُفتح دقائق معدودة فى أوقات الصلاة وتخلو من مجالس القرآن والعلم والأنشطة الإيمانية فهذا تقصير فى حق المساجد وسوء فهم لحقيقة عمارتها، والحمد لله فقد بدأت بعض المساجد ينشط فيها عمران الإيمان مع عمران البنيان، لكن بقية المساجد ما زالت تحتاج إلى همة العلماء والصالحين ليعودالمسجد إلى سيرته الأولى فى عهد النبى ﷺ ، والله المستعان.

■ قبلة المسجد النبوى الشريف :

كانت قبلة المسجد أولاً إلى بيت المقدس حوالى ستة عشر شهراً ، ثم تحوّلت إلى الكعبة.

* عن أنس بن مـالك (رضـى الله عنه) أن رسـول الله ﷺ كان يصلى نحو بيت المقدس، فنزلت : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ..﴾ [البقرة / ١١٤].

■ **توسعة المسجد النبوى :**

١ – توسعته فى عهد رسول الله ﷺ :

بعد مرور أربع سنوات على الهجرة الشريفة، كثر عدد المسلمين وضاق المسجد ، فرغب النبى ﷺ فى توسيعه بعد رجوعه ﷺ من غزوة خيبر.

* عن مـجـمِّع بن يزيد (رضـى الله عنه) ، قـال : بنى رسـول الله ﷺ المسجد مرتين، بناه حين قدم، أقل من مـائة فى مـائة (أى مـائة ذراع)، فلمـا فتح الله عليـه خيـبـر بناه، وزاد فيـه مـثله فى الدور، وضـرب الحـجـرات مـا بينه وبين القبلة. رواه ابن النجار[1].

---

(١) الحجج المبينة / ٥٢.

٢ - توسعة سيدنا عمر (رضى الله عنه) :

لم يزد سيدنا أبو بكر (رضى الله عنه) شيئًا فى المسجد، واكتفى بتجديد بعض أساطينه التى نخرها الدود.

فلما تولى الخلافة سيدنا عمر دعت الحاجة إلى توسعة المسجد النبوى ليستوعب المسجد أعداد المسلمين بالمدينة التى زادت، فاشترى سيدنا عمر الدور التى حول المسجد، وأدخلها فى المسجد، فزاد فيه من ناحية القبلة عشرة أذرع، ومن الجهة الغربية عشرين ذراعًا ، ومن الجهة الشمالية ثلاثين ذراعًا.

وكان بناء سيدنا عمر كبناء سيدنا رسول الله ﷺ من اللَّبِن، وجذوع النخل والسقف من الجريد، وكان ذلك سنة ٧هـ[١].

٣ - توسعة سيدنا عثمان (رضى الله عنه) :

لما تولى سيدنا عثمان (رضى الله عنه) الخلافة زاد فى

---

(١) فضائل سيدة البلدان/٢٠.

المسجد من جهة القبلة رواقًا ومن جهة الغرب رواقًا، ومن جهة الشمال عشرة أذرع، ولم يزد فيه من ناحية الشرق شيئًا. واستخدم سيدنا عثمان فى بنائه الحجارة المنقوشة، والحجار المنقورة وقضبان الحديد والرصاص وسقف المسجد من الخشب، وانتهى العمل من هذه التوسعة فى ٣٠هـ[1].

٤ - توسعة الوليد بن عبد الملك :

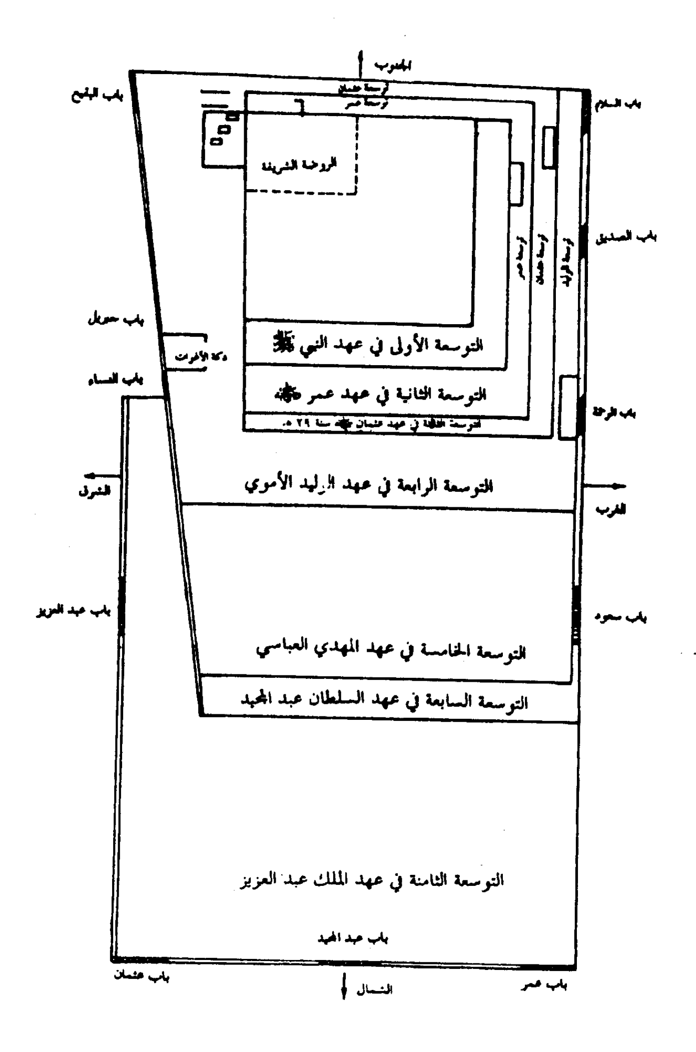
لم يزد أحد من الخلفاء فى المسجد بعد سيدنا عثمان (رضى الله عنه) حتى عهد الوليد بن عبد الملك، فكتب إلى واليه على المدينة، عمر بن عبد العزيز، يأمره بتوسعة المسجد وشراء ما حوله من الدور وضمها إليه.

وأهم ما يلفت الانتباه فى هذه التوسعة هو إدخال حجرات أزواج النبى ﷺ فى المسجد[2].

وتوالت بعد ذلك: توسعات المسجد حتى صار على الحالة العظيمة التى يظهر عليها اليوم صرحًا عظيمًا يضم مدينة رسول الله ﷺ كلها.

(١) ، (٢) فضائل سيدة البلدان/٢٢ - ٢٤.

رسم توضيحى لتوسعات المسجد النبوى



كـوَّات، وأمـر النبى ﷺ فى مـرض مـوته بإغـلاق جـميع الفتحات الخاصة (الخوخات) التى كانت بين المسجد وبيوت الصحـابة (رضى الله عنهم) إلا خوخة أبى بكر الصديق ، وفى هذا إشـارة إلى عظيم منزلته (رضـى الله عنه) ورفـعـة درجته عند الله ورسوله.

وقـد وردت فى ذلك أحـاديث نبـوية شـريفـة فى الصحيحين، منها :

* عن أبى سـعيد الخُدرى (رضى الله عنه) قـال: خطب الـنبـى ﷺ فقال : «إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين مـا عنده، فـاختـار مـا عند الله» فـبكى أبو بكر (رضـى الله عنه) فقلت فى نفسى : ما يُبكى هذا الشيخ، إن يكن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر رضى الله عنه أعلمنا.

قال النبى ﷺ : «يا أبا بكر لا تبكِ، إن أَمَنَّ الناسِ علىَّ فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتى لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين فى

المسجد باب إلا سُدَّ ، إلا باب أبى بكر» متفق عليه واللفظ للبخارى[١].

والمراد بالمن فى قول رسول الله ﷺ «أمنُّ الناس علىّ» : العطاء والبذل ، وليس من الامتنان والاعتداد بالصنيعة، لأنه أذى مبطل للثواب، ولأن المنة لله ولرسوله ﷺ ، قاله الإمام النووى[٢] - رحمه الله - .

■ **مضاعفة ثواب الصلاة فى المسجد النبوى الشريف :**

١ - الصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام :

* عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال : «صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا المسجد الحرام» متفق عليه[٣] .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الصلاة: باب الخوخة والممر فى المسجد. ١/١١٩.
وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة (رضى الله عنهم) : باب من فضائل أبى بكر الصديق (رضى الله عنه)، رقم /٢.
(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ١٥/١٥٠.
(٣) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل الصلاة بمسجدى مكة والمدينة رقم/٥٠٨.

٢ - بشرى نبوية لمن صلى فيه أربعين صلاة متصلة :

* عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ ، قال : « من صلى فى مسجدى هذا أربعين صلاة لا تفوته صلاة، كُتبت له براءة من النار، ونجاة من العذاب ، وبرأ من النفاق»[١].

أخى المؤمن الحاج والمعتمر والزائر لعل فى هذه البشريات وهذا الفضل ما يدفعنا إلى أن نحرص على قضاء كل لحظة فى المسجد النبوى الشريف، بدلاً من التجول فى الأسواق والجلوس مع الرفاق فى كلام نؤاخذ عليه بين يدى الله تعالى ؛ فما جئنا إلى هذه البقاع إلا لتحصيل الثواب والفوز بالمغفرة وشفاعة الحبيب سيدنا محمد ﷺ، ولنستحى أن نخالف هديه أو نتأخر عن سنته ونحن فى جواره وبمدينته المنورة ، والله المستعان.

---

(١) مسند أحمد : ١٥٥/٣ ، ومجمع الزوائد : ٨/٤.

■ **شدُّ الرحال للمسجد النبوى الشريف :**

* عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى» متفق عليه، واللفظ لمسلم[1].

■ **خصوصية الروضة الشريفة فى المسجد النبوى :**

حسب هذه البقعة المباركة فضلاً وشرفًا أنه لم يرد نص عن بقعة من بقاع الأرض أنها من الجنة إلا هذه البقعة الشريفة التى بين منبره وبيته ﷺ، وبيته ﷺ هو قبره.

* عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ، قال رسول الله ﷺ : «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة، ومنبرى على حوضى» متفق عليه [2] .

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج : باب سفر المرأة مع محرم، رقم /٤١٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج ؛ باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، رقم / ٥٠٠ .

* عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه)، قال : قال رسول الله ﷺ : «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة»[1] .

■ دلالة قوله ﷺ : « روضة من رياض الجنة » :

للعلماء تفسيرات ثرية لهذا الحديث الشريف، والعلماء فيه فريقان :

١ - فريق من العلماء أجرى المعنى على حقيقته، وأن الروضة مقتطعة من الجنة، كما هو الحال فى الحجر الأسود، وبعض علماء هذا الفريق أجرى المعنى على الحقيقة من طريق آخر ، وهو أن هذه البقعة المباركة التى تسمى الروضة سوف تنتقل يوم القيامة إلى الجنة، فتكون روضة من رياضها قياسًا على الجذع الذى حَنَّ إلى النبى ﷺ [2].

٢ - الفريق الثانى من العلماء لم يُجْرِ المعنى على

(١) مسند أحمد : ٣/٦٤ . وكنز العمال ١٢/٢٦١.
(٢) راجع : فتح البارى ١١/٤٧٥.

الحقيقة ، وإنما لجأ إلى المجاز بوجهين مختلفين :

أحدهما : أن العبادة فى هذه الروضة تؤدى إلى الجنة قياسًا إلى قول النبى ﷺ : «إذا مـــررتم برياض الجنة فارتعوا ....»، وقوله ﷺ : «الجنة تحت ظلال السيوف» فأطلق اسم المسبب على سببه ، ويكون المعنى على هذا النحو :

الروضة توصل الملازم للطاعات فيها إلى الجنة، أى هو مجاز باعتبار المآل.

ثانيهما : تشبيه هذا المكان كأنه روضة من رياض الجنة؛ لما به من تنزل الرحمات والسكينة والمغفرة.

ومهما يكن من شىء، فلهذه البقعة المباركة مزية وفضل، ونخرج من اختلاف العلماء بأن نؤمن بأنها روضة من رياض الجنة على الوجه الذى أراده الله تعالى وأخبر به النبى ﷺ ، دون اشتغال بالكيفية، وفضل الله واسع ، ولا حرج على فضل الله.

■ منبر النبى ﷺ :

لما كثر عدد المصلين أشار بعض الصحابة على رسول الله ﷺ بعمل منبر يخطب عليه حتى يراه الناس.

* عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة ، فيسند ظهره إلى جذع منصوب فى المسجد فيخطب. فجاء رومى (لعله تميم الدارى) فقال : ألا نصنع لك شيئًا تقعد عليه وكأنك قائم ؟ فصنع له منبرًا له درجتان، ويقعد على الثالثة[١].

ولما وُضِع المنبر الشريف فى مكانه صعد عليه النبى ﷺ ، فصلى عليه والناس خلفه، حتى يروا كيفية صلاته ﷺ فيتبعوه .

ولم يزل المنبر على حاله ثلاث درجات حتى زاده مروان بن عبد الحكم فى خلافة معاوية (رضى الله عنه) ستَّ درجات من أسفله.

---

(١) صحيح ابن خزيمة ٣/١٤٠.وسنن الترمذى : كتاب المناقب : باب (٦) رقم/ ٣٦٢٧ .وقال الترمذى : حديث حسن صحيح.

* عن أبى حازم (سلمة بن دينار) أن نفراً سألوا سهل بن سعد : من أى شىء المنبر؟

فقال : ما بقى فى الناس أعلم منى، هو من أثل الغابة(١)، عمله فلان مولى فلانة، لرسول الله ﷺ . وقام عليه رسول الله ﷺ حين عمل ووضع، فاستقبل القبلة وكَبَّر، وقام الناس خلفه ، فقرأ وركع، وركع الناس خلفه، ثم رفع رأسه، ثم رجع القهقرى، فسجد على الأرض ، ثم عاد إلى المنبر، ثم ركع، ثم رفع رأسه ، ثم رجع القهقرى حتى سجد بالأرض، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته. ثم أقبل على الناس فقال : « يا أيها الناس إنى صنعت هذا لتأتموا بى، ولتعلموا صلاتى»(٢) متفق عليه.

وهكذا نرى أن المنبر الشريف كان وسيلة تعليمية يلجأ إليها النبى ﷺ مقدماً هذا البيان العملى لعبادة الصلاة،

(١) الأثل : شجر كريم العود، تصنع منه الأبواب والأقداح، اتخذ منه منبر سيدنا رسول الله ﷺ، لسان العرب: مادة (أ ث ل).
(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد، باب جواز الخطوة والخطوتين فى الصلاة، رقم/٤٤ .

اللهم صلِّ وسلم على معلم الناس الخير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

■ **المنبر الشريف والوحي :**

فعن كعب بن عجرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ : «احضروا المنبر» فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال : «آمين» فلما ارتقى الدرجة الثانية قال : «آمين» فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال : «آمين»، فلما نزل قلنا : يا رسول الله ، لقد سمعنا منك اليوم شيئًا ما كنا نسمعه، قال: «إن جبريل (عليه السلام) عرض لى، فقال : بُعدًا لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، قلتُ : آمين، فلما رقيت الثانية قال: بعدًا لمن ذُكرتَ عنده فلم يُصلِّ عليك، قلتُ : آمين، فلما رقيت الثالثة قال : بُعدًا لمن أدرك أبواه الكبر عنده - أو أحدهما- فلم يدخلاه الجنة، قلت : آمين..» رواه الحاكم[1].

---

(١) المستدرك ٤/١٥٣ - ١٥٤.

■ المنبر الشريف على ترعة من ترع الجنة :

من فضائل المنبر الشريف لسيدنا رسول الله ﷺ ، أنه سيكون يوم القيامة على ترعة من ترع الجنة. وتكرر فى أحاديث نبوية كثيرة : «منبرى على ترعة من ترع الجنة» [١].

ما معنى (ترعة) الواردة فى الحديث ؟

تأتى لفظة (ترعة) فى اللغة على خمسة معان[٢] ؛ هى :

١ - الروضة. ٢ - الدرجة. ٣ - الباب.

٤ - مفتح الماء. ٥ - الكوّة.

والذى يناسب السياق هنا هو معنى : مفتح الماء، فيكون المنبر على مفتح الماء لحوض النبى ﷺ.

ويتفق هذا مع ما يرد بعد ذلك من أن المنبر على حوض النبى ﷺ . والله تعالى أجلُّ وأعلم.

---

(١) مسند أحمد : ٥/٣٣٥ ، ٣٣٩ . والسنن الكبرى : ٥/٢٤٧. ومجمع الزوائد : ٩/٤.

(٢) غريب الحديث لأبى عبيد: ١/٤، تهذيب اللغة ٢/٢٦٦ ، ولسان العرب : مادة (ت ر ع).

■ **المنبر على الحوض :**

جاء في السنة المطهرة أن المنبر الشريف الذى كان يخطب عليه رسول الله ﷺ سيكون يوم القيامة منصوباً على حوضه ﷺ، وهذه مَزِيَّة نالها المنبر بوقوف النبى ﷺ عليه وإلقاء خطبه من فوقه ، وقد تكرر فى أحاديث نبوية كثيرة : «... ومنبرى على حوضى». متفق عليه.

■ **المنبر الشريف تأخذه الخشية من خطب رسول الله ﷺ :**

وردت أحاديث نبوية كثيرة تفيد أن المنبر الشريف كان يرتجف تحت رسول الله ﷺ حين يأتى ذكر القيامة وأهوالها وذكر عظمة الله تعالى.

عن عبد الله بن مِقْسَم، أنه نظر إلى عبدِ الله بن عُمر (رضى الله عنهما) كيف يحكى رسول الله ﷺ قال : «يأخذ الله عزَّ وجلَّ سماواته وأراضيه بيديه، فيقولُ: أنا الله، (ويقبض أصابعه ويبسطها) أنا الملك» حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إنى لأقول: أساقطٌ هو برسول الله ﷺ ؟». رواه مسلم(١).

(١) صحيح مسلم : كتاب المنافقين : صفة القيامة والجنة والنار، رقم/ ٢٥، تفسير ابن كثير ٦٣/٤.

■ رسالة المنبر فى حياة الأمة :

مما سبق يظهر لنا دور المنبر فى الدعوة إلى الله تعالى، وكل منبر فى مسجد ينتسب إلى منبر رسول الله ﷺ، فليكن لله تعالى لإقامة دين الله عز وجل، وينبغى ألا يستخدم لأهواء البشر وبدعهم .

لقد أُصيب المنبر فى حياتنا المعاصرة بالجمود، وتحول إلى حرفة يتوسل بها إلى الارتزاق، فحلت اللقمة فيه محل الفكرة. وأصبح الناس يضربون المثل بالخطباء فى الكلام النمطى المكرر الذى لا يتصل بواقعهم ومشكلاتهم ، لقد أصبح الخطيب مكتبيًا، يحفظ الخطب المنمقة من بطون الكتب دون أن يعيش عصره وهموم وآلام أمته ، يضاف إلى غياب المنبر عن آلام الأمة أمرٌ آخر هو اتخاذ المنبر عند كثير من الخطباء إلى أداة للتفريق بين المؤمنين وتبادل الاتهامات بين الجماعات المختلفة.

ما أحوجنا إلى أن نعود بالمنبر إلى سيرته الأولى فى عهد سيدنا رسول الله ﷺ.

■ حنين الجذع وشوق الجمادات إلى النبى ﷺ :

تواتر خبر حنين الجذع لمَّا تركه النبى ﷺ وصعد المنبر، من ذلك :

* عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : كان رسول الله ﷺ يصلى إلى جذع يتساند إليه، فجعل له المنبر، فصعد النبى ﷺ ، فخطب الناس ، فحنَّ الجذعُ كما تحنُّ الناقةُ، فأتاه رسول الله ﷺ ، فوضع يده عليه، وقال : «ما شأنك؟ إن شئت دعوت الله عزَّ وجلّ فردَّك إلى مُحْتَشِك، وإن شئت دعوت الله عز وجل فأدخلك الجنة، فأثمرت فيها، فأكل من ثمارك أولياء الله المتقون، وأنبياؤه المرسلون» فسمعنا رسول الله ﷺ يقول : «نعم» فغار الجذع فذهب»[1].

■ محبة الجمادات وطاعتها للنبى ﷺ :

المتأمل لحياة الأنبياء يرى أن الله تعالى أيد أنبياءه بمعجزات شتى دليلاً على صدق دعوتهم وحقيقة نبوتهم،

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ٢/٥١٩ ، ومجمع الزوائد ٢/١٨٢.

وهكذا ارتبطت المعجزة بالنبوة ، ومع المعجزة الكبرى، الباقية إلى يوم القيامة، والتى جعلها الله تعالى دليلاً على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ ، وهى القرآن الكريم ، فإن الله تعالى أكرم نبيه محمداً ﷺ بمعجزات حسية، نُقلت إليناالأسانيد الصحيحة المتواترة. والعناية بذكر هذه المعجزات وبيانها فيه من الفوائد العظيمة للأمة، منها :

١ - التعريف بقدر هذا النبى الكريم عند ربه وعلو شأنه ﷺ .

٣ - إظهار مدى تأييد الله تعالى لمن أخلص إليه، حيث يلحق بالأنبياء الأولياء، فتقع على أيديهم الكرامات، وفى هذا ما يحمل على صدق الإخلاص والتوكل على الله عز وجل.

٣ - الحب لرسول الله ﷺ مما يحمل على التأسى والاقتداء به ﷺ.

ومن المعجزات الحسية التى أكرم الله بها نبيه محمداً ﷺ : زيادة الطعام وحلول البركة فيه بين يديه ﷺ حتى يشبع الخلق الكثير من الطعام القليل؛ فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما من شأن أم سُلَيم حين رأى زوجها (أبو طلحة) علامات الجوع على رسول الله ﷺ ، **وذهب إلى بيته، وأخبر أم سُلَيم لتعد طعاماً لرسول الله ﷺ، ودعا أبو** طلحة رسول الله ﷺ ، **ولم يأت النبى وحده، بل دعا القوم جميعهم، وكانوا ثمانين رجلاً، وأذهلت المفاجأة أم سليم وزوجها، وقال لرسول الله ﷺ** : ليس عندنا ما يكفى هذا الجمع، إنما هو قرص لك.

فقال النبى ﷺ : «إن الله سيبارك فيه» ودخل النبى ﷺ **وبارك الطعام بيديه، ثم قال لأبى طلحة : ائذن لعشرة، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال النبى ﷺ: ائذن لعشرة. فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا.. وهكذا حتى أكل القوم كلهم وشبعوا (البخارى فى المناقب).**

وكذلك عندما صنعت زوج جابر بن عبد الله طعامًا (عنزًا وصاعًا من شعير)، وقال جابر : يا رسول الله ؛ تعالَ ونفرٌ معك، فجاء بالمهاجرين والأنصار والذين معه فى غزوة الخندق، وكانوا ألف رجل، فأكلوا جميعًا حتى شبعوا، وبقيت بقية من هذا الطعام القليل (البخارى فى المغازى).

وتحمل هذه المعجزة هدايات إيمانية ، من أهمها :

* حين يبارك الله عز وجل فى الشىء يزداد النفع به. (والبركة معناها : زيادة ونماء فى الشىء بصورة غير محسوسة)، وقد حدد القرآن الكريم سبل تحصيلها بأمرين:

١ - الإيمان.   ٢ - التقوى.

لقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف/٩٦].

وتحمل سنة الهادى البشير سيدنا محمد ﷺ جوانب تطبيقية لهذا المعنى من ذلك سنة التسمية قبل الطعام

والأكل باليمين ومما يلى الإنسان، ولا يأكل إلا إذا جاع، وإذا أكل لا يشبع، فبهذا يحصل المؤمن البركة فى الطعام.

كما تحمل هذه المعجزة فقهًا آخر من خُلق سيدنا رسول الله ﷺ ، فقد قدم أصحابه على نفسه.. إيثارًا لهم، ورعاية لأحوالهم ، ليكون إسوة للأمة وقدوة فى هذا الخلق العظيم.

كما تحمل - أيضًا - هذه المعجزة بيانًا لزهد رسول الله ﷺ فى متاع الدنيا وزينتها.

كما يظهر لنا أيضًا حب الصحابة لرسول الله ﷺ وشعورهم به وسعيهم من أجله.

أيضًا من المعجزات التى أكرم الله بها سيدنا محمد ﷺ تعظيمًا لقدره ورفعة لشأنه، وانتقلت إلينا بالأسانيد الصحيحة، طاعة الجمادات له ﷺ كالحجر والشجر وتكليمها له ﷺ.

فأما بشأن طاعات الجمادات له وتكليمها النبى ﷺ، فقد روى مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن سمرة -

رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إنى لأعرف حجراً بمكة كان يُسلم علىَّ قبل أن أُبعث، إنى لأعرفه الآن».

ومن ذلك أيضًا ما رواه الترمذى من حديث على بن أبى طالب، قال : كنت مع النبى ﷺ بمكة ، فخرجنا فى بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : «السلام عليك يا رسول الله».

ومنه ما رواه البخارى بشأن حنين الجذع الذى يخطب عليه النبى ﷺ، حين فارقه النبى ﷺ إلى المنبر الذى صنع له.

وأما عن طاعة الشجر له، فروى مسلم فى صحيحه فى حديث طويل بشأن الشجرتين اللتين ناداهما رسول الله ﷺ، وقال لكل منهما : «انقادى علىّ بإذن الله» فانقادت له كل منهما.

وتحمل هذه المعجزات من العبر والعظات ما يزيد المؤمنين إيمانًا وهدى، من ذلك :

(١) إن الجمادات والأشجار ونحوها أقبلت طائعة لأمر

رسـول الله ﷺ بإذن الله، والأولى بذلك الناس الذين أرسل النبى إليهم وبُعث من أجلهم أن يسارعوا لطاعته والتأسى به والاقتداء به ﷺ.

(٢) إن الجمادات والأشجار ليست بمعزل عن سياق الطاعة والعبادة، وسبحان الله القائل : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج/١٨].

وقوله سبحانه : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء/٤٤].

(٣) إن العز فى طاعة الله سبحانه، وأن من أكرمه الله تعالى سخر له الأشياء.

■ أسطوانات الروضة الشريفة :

المقصود بأُسطوانات الروضة هو الأعمدة التى بالروضة الشريفة، وكانت هذه الأسطوانات من جذوع النخيل على

عهد رسول الله ﷺ، ووفَّق الله من قاموا بتوسعة المسجد وبنائه فى المحافظة على أماكن هذه الأُسطوانات، وذلك لأن كل أُسطوانة منها ترتبط بموقف وطاعة، والشئ يَفْضُلُ أيضًا بما يجاوره ويقاربه، فكيف بما كان فى الروضة الشريفة ؟ ولقد كان الصحابة (رضى الله عنهم) يتبادرون للصلاة عندها.

* عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال : «لقد رأيت كبار أصحاب النبى ﷺ يبتدرون السوارى عند المغرب - حتى يخرج النبى ﷺ» متفق عليه ، واللفظ للبخارى(١).

* عن يزيد بن أبى عبيد قال : «كنت آتى مع سلمة بن الأكوع فيصلى عند الأُسطوانة التى عند المصحف، فقلت: يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأُسطوانة التى عند المصحف، قال : فإنى رأيت النبى ﷺ يتحرى الصلاة عندها» رواه البخارى(٢).

---

(١) ، (٢) صحيح البخارى : كتاب الصلاة : أبواب سترة الصلاة ١٢٧/١.

وهذه الأسطوانات التى بالروضة مكتوب أعلى كل أسطوانة منها اسمها ، وفيما يلى موجز مختصر عن هذه الأسطوانات :

١ - أسطوانة السرير :

وهى مما يلى الحجرة الشريفة ، فى مقابلة أسطوانة التوبة، وتلتصق بشباك الحجرة المطل على الروضة الشريفة، وكان النبى ﷺ يَضّجع عندها على سرير من جريد، حيث كانت محلاً لاعتكافه ﷺ.

٢ - أسطوانة الحرس :

تقع شمال أسطوانة السرير، وعندها كان يجلس بعض صحابة النبى ﷺ يحرسون رسول الله ﷺ ، حتى نزل قول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة/٦٧].

فأطلَّ عليهم رسول الله ﷺ وقال لهم : «انصرفوا فقد عصمنى الله عزّ وجلّ».

* عن عائشة (رضى الله عنها) ، قالت: كان النبى ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾.

فأخرج النبى ﷺ رأسه من القبة[١]، وقال: «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله عزّ وجل». رواه الترمذى[٢].

٣ – أُسطوانة الوفود :

تقع شمال أُسطوانة الحرس، وكان النبى ﷺ يجلس عندها لاستقبال الوفود القادمة إليه ﷺ.

٤ – أُسطوانة مقام جبريل :

مكان هذه الأُسطوانة خلف بيت السيدة فاطمة (رضى الله عنها) ، ومكانها الآن محراب خلف الحجرة الشريفة، أمامها جزء مرتفع قليلاً، وهى على يمين الخارج من باب جبريل (عليه السلام).

وورد أن النبى ﷺ كان إذا قام من الليل للتهجد يوضع له حصير عندها ويصلى عليه ما شاء الله تعالى له.

---

(١) القبة : بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب ، وقيل هى البناء من الأدم: أى الجلد خاصة ، لسان العرب : مادة (ق ب ب).

(٢) سنن الترمذى : كتاب تفسير سورة المائدة، رقم / ٣٠٤٦.

ومما ورد أن رســـول الله ﷺ كـــان يأتـى وينـادى : الصلاة، لعلى وفاطمة (رضى الله عنهما).

٥ - أُسطوانة عائشة (رضى الله عنها) :

هى الأسطوانة التى بعد أُسطوانة التوبة إلى الروضـة، وهى الثالثة من المنبر ومن القبر، وهى متوسطة فى الروضة، وكان المهاجرون من قريش يجتمعون عندها، ولذلك أُطلق عليها مجلس المهاجرين، ويستحب الصلاة عندها، وسُميت بأُسطوانة عائشة لأنها أخبرت عبد الله بن الزبير (رضى الله عنه) بفضل تلك الأسطوانة، فقام فصلى عندها، فظن الناسُ أن عائشة أخبرته بها فَسُمُيِّتْ بذلك.

٦ - أُسطوانة المصحف :

وهى التى عن يمين المحـراب، الذى كـان يصلى إليـه رسـول الله ﷺ فى أرجح الأقوال. لقول الإمام مالك (رضى الله عنه) ، فيما نقله ابن النجار : أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف

كبير، وكان فى صندوق، عن يمين الأسطوانة التى عملت على مقام النبى ﷺ، وكان يفتح يومى الجمعة والخميس فيقرأ فيه إذا صلّيت الصبح[١].

* عن يزيد بن أبى عبيد قال : كنت آتى مع سلمة بن الأكوع (رضى الله عنه)، فيصلى عند الأسطوانة التى عند المصحف، فقلت : يا أبا مُسلم : أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة. قال : فإنى رأيت النبى ﷺ يتحرى الصلاة عندها. متفق عليه، واللفظ للبخارى[٢].

٧ - أُسطوانة التوبة :

تقع غربى أُسطوانة السرير وشرقى أُسطوانة السيدة عائشة (رضى الله عنها) وتعرف بأُسطوانة أبى لبابة (رضى الله عنه) ولذلك قصة ، خلاصتها :

أنه لمَّا غدر بنو قريظة (مَن اليهود) برسول الله ﷺ ،

(١) أخبار مدينة الرسول ﷺ ١٠٦، فضائل المدينة المنورة ٢/٣٢٩.

(٢) صحيح البخارى : كتاب الصلاة: باب الصلاة للأسطوانة ١/١٢٧.

وانضموا مع كفار قريش يوم الخندق ، فلمَّا نصر الله تعالى رسوله ﷺ وهزم الأحزاب، أمر ﷺ بالزحف إلى بنى قريظة، فحاصرهم ﷺ خمسًا وعشرين ليلة ، فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غيرُ منصرفٍ عنهم حتى يناجزهم، أرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لُبابة بن عبد المنذر ليستشيروه فى أمرهم ، لأنه كان حليفًا لهم، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه، فرَقَّ لهم ، وقالوا له: يا أبا لُبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ﷺ ؟ قال : نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح.

قال أبو لُبابة (رضى الله عنه) : فوالله ما زالت قدماى فى مكانهما حتى عرفتُ أنى قد خنت الله ورسوله ﷺ.

ثم انطلق أبو لُبابة (رضى الله عنه) على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ ، حتى ربط نفسه فى المسجد فى هذه الأسطوانة ، وقال : لا أبْرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىَّ

مما صنعت، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره - وكان قد استبطأه - قال : «أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما قد فعل، فما أنا بالذى أُطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه».

ثم نزلت توبته على رسول الله ﷺ فى وقت السَّحَرِ ، وهو فى بيت أم سلمة (رضى الله عنه). فبشرته أُم سلمة بذلك، وذلك قبل ضرب الحجاب. فثار الناس إليه ليطلقوه. فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يُطْلقنى بيده، فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجًا إلى صلاة الصبح أطلقه[1].

وقد كان النبى ﷺ إذا اعتكف يُطرح له فراشه أو سريره وراءها.

* عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنه)، عن النبى ﷺ أنه كان إذا اعتكف، طُرح له فراشه - أو يوضع له سرير - وراء أُسطوانة التوبة. رواه ابن ماجه[2].

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام ٣ / ٢٦٧ - ٢٦٨ ، دلائل النبوة للبيهقى ٤/١٥ - ١٧.
(٢) سنن ابن ماجه : كتاب الصيام : باب فى المعتكف يلزم مكانًا فى المسجد، رقم/١٧٧٤ .

■ **الحجرة الشريفة :**

هى الحجرة التى ضمت قبره الشريف ؛ وهى حجرة السيدة عائشة (رضى الله عنها).

* عن عائشة (رضى الله عنها) ، قالت : لما اختلفوا فى دفن النبى ﷺ حين قُبِض، قال أبو بكر (رضى الله عنه): سمعت النبى ﷺ يقول : «لا يُقبض النبى إلا فى أحب الأمكنة إليه»، فقال أبو بكر : ادفنوه حيث قُبض[1].

■ **حجرات أمهات المؤمنين :**

هى حجرات أزواج النبى ﷺ ، ونالت شرف الذكر فى القرآن الكريم، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات/٤] ، وأضيفت هذه الحجرت إلى النبى ﷺ تشريفًا لها، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب/٥٣]. ويلحق بهذه الحجرات بيت السيدة فاطمة بنت

---

(١) سنن الترمذى : كتاب الجنائز، باب ٣٣ ، رقم/ ١٠١٨.

رسـول اللـه ﷺ، والذى أتفق المؤرخون على تحديد مكانه هذه الحجرات الخمس :

* روى عن ابن اسحاق - من علماء المدينة - قال : كانت أول حجرة من حجر أزواج النبى ﷺ حجرة حفصة وهى موضع خوخة عمر، ثم تليها حجرة السيدة عائشة (رضى الله عنها) وهى موضع القبر الشريف، وبعدها حجرة السيدة فاطمة (رضى الله عنها) فى الصدر عند باب جبريل عليه السلام، وبعدها حجرة أم سلمة وآخر الحجرات حجرة جويرية (رضى الله عنهن أجمعين)[١].

أما بقية الحجرات الشريفة فلم يتفق المؤرخون على مكانها من المسجد.

ووردت روايات تفيد أن رسول الله ﷺ بنى لنسائه تسعة بيوت ، وهى ما بين بيت عائشة إلى الباب الذى يلى باب النبى ﷺ[٢] وهو اليوم باب النساء.

---

(١) كتاب المناسك / ٣٧٣ ، أخبار مدينة الرسول ﷺ / ٧٣.
(٢) وفاء الوفا ٢/٤٥٩.

رسم تقريبى للحجرات الشريفة من المسجد قبل هدمها[1].

الجنوب

حجرة حفصة

حجرة عائشة

حجرة سودة

حجرة فاطمة

حجرة زينب وأم سلمة

باب جبريل

حجرة

حجرة

حجرة

حجرة

حجرة

بيت فاطمة (رضى الله عنها) :

أما بيت فاطمة (رضى الله عنها) بنت رسول الله ﷺ وعلى آله فقد كان خلف بيت النبى ﷺ عن يسار المصلى إلى الكعبة، وكان فيه خوخة إلى بيت النبى ﷺ كان رسول

(١) راجع : بيوت الصحابة (رضى الله عنهم) حول المسجد النبوى الشريف/٢٠.

الـلـه ﷺ يطل منها ليطمئن عليهم، وكان يأتى بابها كل صباح فيأخذ بعضادتيه، ويقول: «الصلاة الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

وقال محمد بن قيس[١] : كان النبى ﷺ إذا قدم من سفر أتى فاطمة (رضى الله عنها) فدخل عندها، وأطال عندها المكث. فخرج مرة فى سفر فصنعت فاطمة مسكتين من ورق «فضة» وقرطين وستراً لباب بيتها لقدوم أبيها وزوجها، فلما قدم ﷺ ودخل إليها وقف أصحابه على الباب، فخرج وقد عُرف الغضب فى وجهه ، ففطنت فاطمة ، إنما فعل ذلك لما رأى المسكتين والقلادتين والستر. فنزعت قرطيها وقلادتيها، ومسكتيها ونزعت الستر، وأرسلت به إلى رسول الله ﷺ وقالت للرسول الذى أرسلته : قل للنبى ﷺ: ابنتك تقرأ عليك السلام وتقول لك : اجعل هذا فى سبيل الله؛ فلما أتاه قال: «قد فعلت فداها أبوها ثلاث مرات للنبى ﷺ ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ، ولو كانت

(١) أخبار مدينة الرسول ﷺ / ٧٦

الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء»، ثم قامت فدخل عندها. وقال ابن عباس : كـان رسـول الله ﷺ إذا قدم من سفر قَبَّل رأس فاطمة (رضى الله عنها).

وعن جعفر بن محمد كان يقول : قبر فاطمة (رضى الله عنها) فى بيتها الذى أدخله عمر بن عبد العزيز فى المسجد قلت وبيتها اليوم حوله مقصورة، وفيه محراب وهو خلف حجرة النبى ﷺ[1].

* عن عبد الله بن يزيد الهُذَلى، قال: رأيت بيوت أزواج النبى ﷺ حين هدمها عمر بن عبد العزيز، كانت بيوتًا باللَّبِن ولها حجر من جريد، ورأيت بيت أم سلمة وحجرتها من لبن، فسألت ابن ابنها ، فقال: لما غزا رسول الله ﷺ دومة، بَنَتْ أم سلمة حجرتها باللَّبِن ، فلما قدم نظر إلى اللَّبِن، فقال : «ما هذا البناء ؟» فقالت : أردت أن أكُفَّ

(١) أخبار مدينة الرسول ﷺ / ٧٥ – ٧٦.

أبصار الناس، فقال ﷺ : «يا أم سلمة إن شر ما ذهب فيه مال المسلم البنيان»(١).

* وقال عطاء الخراساني: أدركت حجر أزواج النبى ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمر بإدخال حجرات النبى ﷺ فى مسجده، فما رأيت باكيًا أكثر من ذلك اليوم. وسمعت سعيد بن المسيب يقول : يومئذ والله لوددت أنهم لو تركوها على حالها ينشأ ناس من أهل المدينة، ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ فى حياته، فيكون ذلك مما يُزهد الناس فى التكاثر والفخر، وقال عمران بن أبى أنس : لقد رأيتنى فى مسجد رسول الله ﷺ وفيه نفر من أصحابه أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل وخارجة ، يعنى لما نقضت حجرات أزواجه ﷺ وهم يبكون حتى اخضلت لحاهم من الدمع، وقال : يومئذ أبو أمامة ليتها تركت حتى يقصر

(١) أخبار مدينة الرسول ﷺ /٧٦.

الناس من البنيان، ويروا ما رضى الله عز وجل لنبيه ﷺ ومفاتيح الدنيا بيده[١].

■ الصُفَّة وأهلها :

هى ظُلَّة فى مؤخر مسجد النبى ﷺ يأوى إليها المساكين والغرباء[٢] ، وإليها ينسب أهل الصُفَّة. وعليها كان ينزل المهاجرون الذين لم يتوفر لهم مكان عند الأنصار. ومنهم من جاء إليها ليتوفر لطلب العلم ويعود معلمًا لقومه.

واتفق المؤرخون الأوائل على تحديد مكانها ، فى الجهة الشمالية للمسجد، أى غربى دكة الأغوات .

لأن موضع دكة الأغوات الموجودة حاليًا بين باب جبريل وباب النساء كان خارج المسجد عند باب الصُفَّة، ولكن هذه الدكة أقيمت بمحاذاة الصُفَّة عند توسعة المسجد النبوى الشريف فى العصور المتأخرة تمامًا مثل الأبواب الأثرية

---

(١) أخبار مدينة الرسول ﷺ /٧٤ - ٧٥.

(٢) فتح البارى ٦/٥٩٥.

التى جعلت فى محاذاة محلها الأول عند التوسعات وأطلق عليها الاسم السابق[١] .

■ عدد أهل الصُّفَّة وحالهم :

حوالى السبعين. ويكثرون بنزول الضيوف الوافدين ، ويقلون بزوال سبب البقاء بالصُّفَّة، كزواج، أو سفر، أو موت، .. إلخ.

* عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ، قال : «لقد رأيت سبعين من أهل بالصُّفَّة ما فيهم رجل عليه رداء ، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا فى أعناقهم ، فمنها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ إلى الكعبين ، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته» رواه البخارى [٢].

---

(١) راجع بيوت الصحابة (رضى الله عنهم) / ٤٧.

(٢) صحيح البخارى : كتاب الصلاة : باب نوم الرجال فى المسجد، ٤٤٢/٨.

الرداء : ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة، والإزار : ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن ، والكساء هو الثوب الذى يستتر به.

■ مواقف إيمانية لأهل الصُفَّة :

رغم انزواء الدنيا عنهم ؛ فإنهم (رضى الله عنهم) لم تُشغل قلوبهم بها، بل كانت لهم الهمة العالية فى الطاعة ، لقد أثنى الله عليهم فى قرآنه، قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة/٢٧٣].

ومن المواقف التى وردت فى الصحيح ، والتى تفيض بالموعظة الهادية هذان الموقفان :

١ – موقف أبى هريرة (رضى الله عنه) :

* عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أنه كان يقول: «والله الذى لا إله إلا هو إنْ كنت لأعْتمدُ بكبدى على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذى يخرجون منه، فَمَرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى، فَمَرَّ ولم يفعل. ثم مَرَّ بى عمر، فسألتُه عن آية من كتاب الله، ما

سألتُه عنها إلاَّ لِيُشْبعنى، فَمَر ولم يفعل ، ثم مر بى أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآنى وعرف ما فى نفسى وما فى وجهى، ثم قال: أبا هرٍّ ؟ قلتُ : لبيك يا رسول الله. قال: الْحَقْ، ومضى، فاتبعته فدخل فاستأذن فأذن لى فدخل فوجدت لبنًا فى قدح. فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا : أهداه لك فلان، قال: «يا أبا هرٍّ» قلت: لبيك رسول الله ، قال: الْحَقْ إلى أهل الصُّفَّة فَادْعُهم لِى.

قال : وأهل الصُّفَّة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد. إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولا يتناول منها شيئًا، وإذا أتته ﷺ هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها.

فساءنى ذلك، فقلت : وما هذا اللَّبَن فى أهل الصُّفَّة ؟ كنت أحق أن أصيب من اللَّبَن شربة أتقوى بها، فإذا جاءوا أمرنى ، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يَبْلُغَنى من هذا اللَّبَن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدٌّ.

فأتيتهم، فدعوتهم ، فأقبلوا ، فاستأذنوا ، فأذن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت.

قال : « يا أبا هِرٍّ»، قلت : لبيك يا رسول الله. قال : «خذ فأعطهم». فأخذت القدح فجعلتُ أُعطيه الرجل، فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليّ القدح، فأعطيه الرجل، فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليّ القدح، حتى انتهيت إلى النبى ﷺ وقد روَى القومُ كلهم.

فأخذ القدح، فوضعه على يده، فنظر إليَّ، فتبسم، وقال: «يا أبا هِرٍّ». قلت : لبيك يا رسول الله. قال : «بقيت أنا وأنت». قلت : صدقت يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب» فقعدت فشربت ، فقال: «اشرب». فشربت. فما زال يقول: «اشرب» حتى قلت : والذى بعثك بالحق لا أجد له مسلكًا. قال: «فأرنى» فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفَضْلة» رواه البخارى[1].

(١) صحيح البخارى : كتاب الرقاق: باب كيف كان يعيش النبى ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ، ١٧٨/٧.

٢ - موقف ربيعة بن كعب (رضى الله عنه) :

كان ربيعة بن كعب (رضى الله عنه) من أهل الصُفَّة، لا أهل له ولا مال ولا سكن، فأحب أن يتقرب لرسول الله ﷺ فجهز له ماء وضوئه ليلاً ليقوم الليل، فابتسم النبى ﷺ وأحب أن يكافئه، فقال لربيعة : «سلنى» ، فقال : يا رسول الله أسألك مرافقتك فى الجنة، فقال له النبى ﷺ : «أو غير ذلك». فقال: بل هو ذاك يا رسول الله فقال النبى ﷺ له : «أعنّى على نفسك بكثرة السجود». رواه البخارى[1].

■ مسجد قباء : أول مسجد أقيم لجماعة المسلمين :

أول مسجد أقيم لجماعة المسلمين أسسه رسول الله ﷺ فور وصوله من مكة مهاجرًا وهو فى طريقه إلى المدينة المنورة ، حيث أقام بقباء بضع[2] عشرة ليلة.

ولقد نزل القرآن الكريم يمدح أهل قباء ومسجدهم ،

---

(١) صحيح البخارى :

(٢) البضع : من الثلاث إلى التسع.

قال تعالى : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة/١٠٨].

* عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : لما نزلت الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ بعث رسول الله ﷺ إلى عُويم بن ساعدة، فقال : «ما هذا الطهور الذى أثنى الله عليكم به ؟» فقالوا : يا نبى الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل دبره - أو قال: مقعدته - فقال النبى ﷺ: «ففى هذا». رواه الحاكم[1].

وكان النبى ﷺ يأتيه كل سبت ماشيًا أو راكبًا، فيصلى ركعتين.

* عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) ، كان رسول الله ﷺ يأتى مسجد قباء كل سبت ماشيًا أو راكبًا، وكان عبد الله (رضى الله عنه) يفعله». متفق عليه[2].

---

(١) المستدرك ١/١٨٧، مجمع الزوائد ١/٢١٢.

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل مسجد قباء، رقم /٥١٩.

* عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) ، قال : «كان رسول الله ﷺ يأتى مسجد قباء راكبًا وماشيًا، فيصلى ركعتين» متفق عليه[1].

* عن سهل بن حنيف (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «من تطهر فى بيته ، ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة» رواه أحمد [2].

ولا حرج على فضل الله تعالى، ففضله واسع، ولله تعالى أن يفعل ما شاء بما شاء، وكيف شاء.

وكان الصحابة حريصين على زيارة مسجد قباء تأسيًا برسول الله ﷺ ، وقال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : «لو كان مسجد قباء فى أفق من الآفاق ضربنا إليه أكباد المطى»[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل مسجد قباء، رقم/ ٥١٦.
(٢) مسند أحمد ٤٨٧/٣.
(٣) تاريخ المدينة ٤٦/١.

■ **المساجد السبعة :**

تقع غربى جبل سلْع. وترتبط هذه المساجد بغزوة الخندق، وهى أشبه بمواقع أو نقط إقامة للصحابة (رضى الله عنهم) الذين كانوا بغزوة الخندق، وما يعرف منها الآن ستة مواضع هى[1] :

١ - مسجد الفتح.

٢ - مسجد سلمان الفارسى (رضى الله عنه).

٣ - مسجد أبى بكر الصديق (رضى الله عنه).

٤ - مسجد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه).

٥ - مسجد على بن أبى طالب (رضى الله عنه).

٦ - مسجد السيدة فاطمة (رضى الله عنها).

وقد يطلق عليها جميعًا مساجد الفتح.

ويتعلق بهذه المساجد موعظتان :

---

(١) تاريخ معالم المدينة قديمًا وحديثًا/ ١٤٣ - ١٤٥.

الأولى : موعظة إجابة الدعاء :

فعندما كانت غزوة الخندق دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب الذين غزوا المدينة، واستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءه ، فجاءت البشرى بالنصر لرسول الله ﷺ بمسجد الفتح ولذلك سمي بالفتح، حتى إن بعض الصحابة (رضى الله عنهم) كان إذا حَزَبه أمر، أو وقعت عليه ضائقة ؛ ذهب إلى مسجد الفتح وتحيَّن الوقت الذى استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء نبيه ﷺ ، فدعا فيه ؛ فيستجيب الله سبحانه وتعالى له.

الثانية : موعظة غزوة الخندق :

■ الخندق :

تفيد المصادر أن الخندق كان على شكل قوس نصف دائرة يقع شمال المدينة، وتم حفره فى جهة الشمال لأنها الجهة التى تسمح طبيعتها الجغرافية أن يقتحم منها الأعداء، لأن الجهتين الشرقية والغربية جبلان ، فالمدينة كما علمنا بين لابتين، والجهة الجنوبية مزدحمة بالبساتين والنخيل، ولا يتأتى لجيوش الأحزاب الهجوم من أى جهة من

هذه الجهات الثلاث، والجهة الوحيدة التى تسمح طبيعتها الجغرافية أن يكون منها الاقتحام والهجوم هى الجهة الشمالية، لذلك حفر النبى ﷺ فيها الخندق.

■ **أبعاد الخندق :**

طول الخندق : حوالى ٣ كيلو مترات.

عرضه : حوالى ٥ مترات.

عمقه : حوالى ٥ مترات.

■ **غزوة الخندق :**

لما أَجْلَى رسول الله ﷺ يهود بنى النضير إلى خيبر، دعوا قريشًا إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله.

فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خيرٌ أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى

بالحق، فأنزل الله فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾ [النساء/٥١ - ٥٤]، فنشطت قريش وسُرُّوا ، وضربوا لذلك وقتًا وأقّتوه.

ثم إن يهود خيبر خرجت إلى غطفان فدعوهم إلى قتال رسول الله ﷺ ، فاتفقوا معهم ، ثم خرجوا إلى بنى سُليم فدعوهم، فوعدوهم المسير.

ثم خرجت قريش والقبائل التى دعتهم اليهود حتى وافى عددهم عشرة آلاف مقاتل .

وأخبر رسول الله ﷺ بخبر الأحزاب، وما تجمعوا له، وما أجمعوا عليه، فأمر بحفر الخندق على المدينة، ويقال : إن الذى أشار به هو سلمان (رضى الله عنه).

وركب ﷺ فرسًا، ومعه عدد من المهاجرين والأنصار، فارتاد موضعًا ينزله، وجعل جبل سلع خلف ظهره، وحدَّ موضع الخندق ، وجعل لكل عشرة من الصحابة (رضى الله عنهم) أربعين ذراعًا يحفرونها.

وحث ﷺ المسلمين على حفر الخندق . عن البراء (رضى الله عنه) قال: كان النبى ﷺ ينقل التراب يوم الخندق، حتى وارى التراب جلدة بطنه، وكان كثير الشعر - فسمعته يرتجز. بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب، يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بغَوْا علينا	إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته : أبينا، أبينا. متفق عليه واللفظ [1].

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب ، رقم / ١٢٥.

وكما كان ﷺ ينقل التراب من الخندق - بعد حفره - كان يناول القوم الحجر واللبن لبناء جدران الخندق.

* عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : ما نسيت قوله ﷺ يوم الخندق وهو يعاطيهم اللَّبِن، قد اغْبَرَّ شعرُ صدره، وهو يقول :

اللهم إن الخيرَ خيرُ الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

رواه أحمد وأبو يعلى(١).

واستمر المسلمون فى حفر الخندق ستة أيام حتى أحكموه، وهم يرتجزون فى أثناء عملهم ، ترويحًا لنفوسهم، وتنشيطًا على العمل، وهذا مستمر إلى يومنا هذا.

ولم يتأخر عن العمل فى حفر الخندق أحد من المسلمين،

---

(١) مسند أحمد ٦/ ٢٨٩ - ٣١٥ ومسند أبى يعلى ٦ / ٢٩١ - ٢٩٢ .

وأبطأ عن رسـول الله ﷺ رجـالٌ من المنافـقين، منهم من تظاهر بالضعف واسـتـأذن ، ومنهم من انسل خـفيـة بغير إذن ولا علم النبى ﷺ ، بخلاف ما كان من حال المسلمين، حيث كان أحدهم إذا أراد حـاجـة لابد له منها؛ يذكر ذلك لرسـول الله ﷺ، ويستـأذنه فى اللحوق بها، فإذا قضى حاجته رجع إلى مكان عمله، رغبة فى الخير واحتسابًا له ،فأنزل الله تعالى فى المنافقين والمؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وقال عن المنافـقين : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور/ ٦٢ - ٦٤].

وكان البرد شديداً نهاراً وليلاً، والمسلمون ليس عندهم من اللباس ما يكفيهم فى نهارهم، ولا كساء يكفيهم فى ليلهم، وهم يعملون فى العراء، لذا كان بعضهم يتحين الفرصة للذهاب إلى أهله ليكنَّ فى البيت. وإن كان الغالب على الذاهبين من دون إذن من المنافقين.

* عن ابن عمر رضى الله عنه قال : بعثنى خالى عثمان ابن مظعون لآتيه بلحاف، فأتيت النبى ﷺ فاستأذنته - وهو بالخندق - فأذن لى، وقال : «من لقيت فقل لهم : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن ترجعوا»، وكان ذلك فى بردٍ شديد، فخرجت ، ولقيت الناس، فقلت لهم : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن ترجعوا، قال : فلا والله ما عطف علىَّ منهم

اثنان أو واحد. رواه الطبرانى [١].

وقد ظهرت معجزات باهرات ودلائل نبوية ساطعات، وخوارق جعل الله سبحانه وتعالى فيها عبرة فى تصديق رسول الله ﷺ وتحقيق نبوته، وقد عاين المسلمون ذلك فازدادوا إيمانًا مع إيمانهم، وثباتًا فى قلوبهم، وتقوية على العمل الدؤوب، من ذلك :

■ **الكُدْية التى ظهرت فى عرض الخندق :**

الكدية هى القطعة من الجبل الصلبة الصماء.

* عن أيمن المخزومى رحمه الله قال : أتيت جابرًا (رضى الله عنه) ، فقال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدْية شديدة، فجاءوا النبى ﷺ ، فقالوا : هذه كُدْية عرضت فى الخندق، فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا ، فأخذ

---

(١) مجمع الزوائد ٦/ : ١٣٥.

النبى ﷺ المعول، فضرب الكُدْية، فعاد كثيبًا أهيَلَ .. الحديث ، رواه مسلم[١].

■ صخرة سلمان (رضى الله عنه) :

* عن البراء بن عازب (رضى الله عنه) قال: أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرة فى مكان من الخندق، فَشكَوْها إلى رسول الله ﷺ، فأخذ المِعْول، فقال : «بسم الله» فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال : «الله أكبر، أُعطيت مفاتيح الشام، و والله إنى لأُبصر قصورها الحمر من مكانى هذا»، ثم قال : «بسم الله » وضرب أُخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح فارس، والله إنى لأبصر المدائن، وأُبصر قصرها الأبيض من مكانى هذا» ثم قال: «بسم الله» وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر ، أُعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأُبصر أبواب صنعاء من

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم /١٢٩.

مكانى هذا» رواه أحمد ، وحسنه الحافظ فى الفتح[1].

■ **شاة جابر (رضى الله عنه) :**

ومن المواعظ الغالية أيضًا فى الخندق ما ظهر فى قصة شاة جابر (رضى الله عنه) حيث مر على المسلمين ثلاثة أيام، وهم مشغولون بحفر الخندق، لإنجازه قبل وصول الكفار المتحزبين، وتأتى العناية الإلهية مرة أخرى، لتشد من عضد المؤمنين .

* عن جابر (رضى الله عنه) قال: لما حُفر الخندق رأيت بالنبى ﷺ خمصًا شديدًا، فانكفيت إلى امرأتى فقلت: هل عندك شىء ؟ فإنى رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجت إلىَّ جرابًا فيه صاعٌ من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغى، وقطعتها فى بُرمتها، ثم ولَّيت إلى

(١) مسند أحمد ٤ / ٣٠٣ ، وفتح البارى ٦ / ٣٩٧ ، ودلائل النبوة ٣ / ٤٢١.

رســـول الله ﷺ، فقــالت: لا تفضــحني برسـول الله ﷺ وبمــن معــه، فـجـئــتـه فــسـاررته، فـقلت: يا رسـول الله، ذبحـنا بهيمة لنا، وطحنًا صـاعًا مـن شـعيـر كان عندنا، فـتعال أنت ونفـر معك، فصـاح النـبى ﷺ: « يـا أهـل الخندق، إن جابرًا قد صـنع سورًا، فحـىَّ هلا بكم» فـقال رســـول الله ﷺ : «لا تُنـزلنَّ بُرمـتـكم، ولا تَخْـبِـزَنَّ عجيـنكم حتـى أجيـئ»، فجئـت وجـاء رسـول الله ﷺ يقـدم النـاس، حـتـى جـئت امـرأتي، فـبـصـق فـيـه وبـارك، ثـم عـمد إلى بُرمـتنا فبصـق وبارك، ثـم قال: «ادع خـابزة فلتخـبـز معك، واقدحـى مـن برمتـكم ولا تـنزلوها» - وهم ألـف - فـأقسـم باللـه لقد أكلـوا حـتى تركـوه، وانحـرفـوا ، وإن بُرمـتـنا لَتَـغُطُّ كـمـا هى، وإن عجيننا ليخبز كما هـو[1]. متفق عليه[2].

---

(١) راجع معجزات النبى ﷺ عبر وعظات ص ١.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة : باب جواز استتباع غيره ، رقم / ١٤١.

■ وصول الأحزاب إلى المدينة :

ولما انتهى المسلمون من حفر الخندق، وصلت الأحزاب إلى المدينة، وكان عدد الكفار عشرة آلاف، بينما عدد المسلمين ثلاثة آلاف، والخندق بينهم.

وتهيأ رسول الله ﷺ للقتال، فجعل الخندق أمامه، وجعل جبل سلع خلف ظهره، ودفع لواء المهاجرين إلى زيد ابن حارثة، ولواء الأنصار إلى سعد بن عبادة، وَضُرب لرسول الله ﷺ قُبة من أدم.

وكان بنو قريظة قد عاهدوا رسول الله ﷺ ، فلما جاءت الأحزاب ومعهم النفر من اليهود يتقدمهم حُيى بن أخطب، وعرف بنو قريظة ذلك ، دخلوا حصنهم، ونقضوا عهدهم، فلما تيقن ﷺ من غدر يهود بنى قريظة، أرسل إليهم ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عُبادة (رضى الله عنهما) وهما سيدا قومهما، ومعهما عبد الله بن رواحة ، فأتوهم، فوجدوهم قد نقضوا العهد،

فناشدوهم العهد الذى كان بينهم، ولكنهم سمعوا منهم كلامًا قبيحًا، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فبشرهم رسول الله ﷺ بنصر الله وعونه.

واستمر رسول الله ﷺ والمسلمون قبالة عدوهم، لا يستطيعون الزوال عن مكانهم، يعتقبون خندقهم يحرسونه، واشتد الخوف، وظهر كلام المنافقين، حتى قال بعضهم كلامًا قبيحًا، من ذلك قولهم : كان محمد يعدنا أن نأخذ كنوز كسرى وقيصر، وأن أموالهما تنفق فى سبيل الله، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. وقولهم : إن بيوتنا عورة، فأذن لنا، فلنرجع إلى دورنا، فنمنع ذرارينا ونساءنا، فأنزل الله تعالى فى شأن المنافقين يوم الخندق : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ

النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً * قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً ﴾ [الأحزاب/١٢ - ١٧].

واشتد الأمر، وحاول اليهود الإغارة على المدينة، لكن الله تعالى سلَّم، فلَمَّا بلغهم أن رسول الله ﷺ قد أرسل من يحرس المدينة، وعددهم خمسمائة بقيادة زيد بن حارثة وسلمة بن أسلم الأشهلي (رضي الله عنهما) رجع اليهود عن الإغارة على المدينة.

وعظم البلاء ، فالكفار من خارج المدينة محيطون بها، واليهود من الداخل، والمنافقون ينسحبون، ويثبطون الهمم، إضافة إلى البرد الشديد، والجوع المهلك.

وصار المشركون يتناوبون الهجوم على الخندق فيما بينهم، فيغدو أبو سفيان فى أصحابه يومًا، ويغدو خالد بن الوليد يومًا، ويغدو عمرو بن العاص يومًا، ويغدو عكرمة بن أبى جهل يومًا، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهرى يومًا، حتى عظم البلاء، وخاف الناس خوفًا شديدًا، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ [الأحزاب/١٠ - ١١].

■ **النصرة الإلهية والفرج الربانى:**

استمر الحصار الشديد، والضغط من الكفار على

المسلمين، والمناوشة مستمرة، لعلهم يجدون غفلة من المسلمين، ولكن المسلمين كانوا فى منتهى اليقظة، والتنبه والاستعداد، وكانوا على مستوى المسئولية التى حملوها.

والتجأ النبى ﷺ إلى ربه تعالى بالدعاء والمناشدة والإلحاح، واستمر على ذلك أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء إلى ما بعد صلاة الظهر، فجاء الفرج ، واستجاب الله تعالى دعاء نبيه ﷺ، وظهر ذلك بأمرين :

١ - تشتيت أمر الأحزاب، وتفريق كلمتهم، والتخاذل بينهم، وذلك أن نعيم بن مسعود الأشجعى- من غطفان - أتى رسول الله ﷺ معلنًا إسلامه، من غير علم قومه به، فقال له رسول الله ﷺ : «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة». فأتى نعيم بنى قريظة وكان لهم نديمًا فى الجاهلية ، فقال : يا بنى قريظة، قد عرفتم وُدِّى لكم، وأشار عليهم ألا يقاتلوا مع قريش وغطفان، حتى يأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم، يكونون

بأيديهم ثقة، حتى يناجزوه، واستكتمهم مجيئه إليهم.

ثم ذهب إلى أبى سفيان فى رجال قريش، وأعلمهم أن قريشًا قد ندمت على ما كان منها، وأنهم أرسلوا إلى محمد ﷺ يأخذون من أشراف قريش وغطفان سبعين رجلاً يسلمونهم إليه ليضرب أعناقهم، حتى يرد بنى النضير إلى ديارهم، ويكونون معه حتى يردوا قريشًا عنه، وأشار إليهم ألا يعطوا قريظة شيئًا وسألهم كتمان أمره.

ثم ذهب إلى غطفان وأعلمهم بما أعلم به قريشًا عن بنى قريظة ، وحذرهم أن يدفعوا إليهم شيئًا.

ولما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان إلى بنى قريظة ، أن يخرجوا غدًا للقتال، فقالت قريظة : إن اليوم يوم السبت، وهم لا يعملون فيه شيئًا، وأيضًا لا يقاتلون مع قريش وغطفان حتى يعطوهم رهنًا من رجالهم، يكونون بأيديهم حتى يناجزوا محمدًا ﷺ فتحقق أبو سفيان

وغطفان مما قاله نعيم، ويئس كل منهم من الآخر، واختلف أمرهم.

٢ - والأمر الثانى الذى ظهر فيه استجابة الله تعالى لنبيه وحبيبه ﷺ هو : إرسال الريح الشديدة فى تلك الليلة - ليلة السبت - حيث لا يقر لهم قدر، ولا بناء، ولا يهتدى أحدهم إلى موضع رحله.

* عن ابن عباس (رضى الله عنهما)، عن النبى ﷺ قال : «نصرت بالصبا، وأُهلكت عادٌ بالدَّبُور» متفق عليه[1].

الصَّبا - بفتح الصاد المشددة - ريح يقال لها القبول - بفتح القاف - لأنها تقابل باب الكعبة، إذ مهبُّها من مشرق الشمس، وضدُّها الدَّبور - وهى التى أُهلك بها قوم عاد.

ولما علم الله تعالى رأفة نبيه ﷺ بقومه، رجاء أن يسلموا؛ سلط عليهم الصَّبا، فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين، لما أصابهم بسببها من الشدة، ومع ذلك فلم تهلك

(١) صحيح مسلم : كتاب الاستسقاء : باب فى ريح الصبا والدبور، رقم /١٧.

منهم أحداً، ولم تستأصلهم .

فالله تعالى جلت قدرته نصر عبده ونبيه ﷺ بهذه الريح، ولهذا يقول ممتنًا على المؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب/٩].

قال مجاهد[١] : سلط الله عليهم الريح، فكفأت قدورهم، ونزعت خيامهم، حتى أظعنتهم .

■ **مصير يهود بني قريظة :**

لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ووضع سلاحه واغتسل، أتاه جبريل (عليه السلام) فأمره بالتوجه إلى بني قريظة، وأنه ذاهب فمزلزل بهم.

* عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: لما رجع النبى ﷺ

---

(١) فتح البارى ٧/٤٠٢.

من الخندق، ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل (عليه السلام) ، فقال : «قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناه، فأخرج إليهم ، قال: فإلى أين ؟ قال: ها هنا» وأشار إلى بنى قريظة، فخرج النبى ﷺ. متفق عليه[١].

وحاصر رسول الله ﷺ يهود قريظة، حتى أجهدهم الحصار، فطالبوا أبا لبابة بن عبدالمنذر (رضى الله عنه) ليستشيروه فى أمرهم، فسألوه أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم، وأشار إلى حلقه بيده – يعنى الذبح– فندم (رضى الله عنه)، واسترجع، وذهب إلى المسجد، فربط نفسه بأسطوانة فيه (وهى المعروفة اليوم بأسطوانة أبى لبابة – أو أسطوانة التوبة – فأنزل الله فيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال/٢٧].

وبقى مربوطًا عليها – يُحَلُّ وقت الصلاة ثم يعود إلى الربط، حتى نزلت توبته سَحَرًا على رسول الله ﷺ وهو فى

(١) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب جواز قتال من نقض العهد...، رقم/٦٥.

بيت أم سلمة (رضى الله عنها)، في قوله : ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/١٠٢].

ولما أجهدهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فكلمه الأنصار، فقال لهم رسول الله ﷺ : «أما ترضون أن يحكم فيهم رجلٌ منكم ؟ » قالوا : بلى، قال: «فذلك إلى سعد بن معاذ»، فحكم فيهم سعد (رضى الله عنه) بقتل مقاتلتهم وسبى النساء و الذُرِّية ، وتقسيم الأموال.

* عن أبى سعيد (رضى الله عنه) قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبى ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار : «قوموا إلى سيدكم – أو خيركم » – فقال : هؤلاء نزلوا على حكمك فقال : «تُقْتَلُ مُقَاتِلَتُهم، وَتُسْبَى ذَراريهم». قال: قضيت بحكم الله ، وربما قال: بحكم المَلِك. متفق عليه[1].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير : باب جواز قتال من نقض العهد، رقم /٦٤.

■ **فوائد وعبر من غزوة الخندق**[1] :

١ - كانت استجابة الدعاء للنبى ﷺ وهو حى فى أمته، دعمًا لإيمان الصحابة وهداية لغيرهم ليدخلوا الإسلام.

٢ - المعجزات والخوارق - التى ظهرت على يدى النبى ﷺ، كتكثير الطعام، والإخبار بالغيب، وتفتيت الصخر - فيها الإكرام والتأييد لرسول الله ﷺ ، مما زاد الصحابة (رضى الله عنهم) إيمانًا - مع إيمانهم - وثَبَّتَهم فى مواقفهم، وزاد فى عزائمهم...

٣ - همة وثبات الصحابة الكرام (رضى الله عنهم) فى حفر الخندق واكتماله فى ستة أيام، وصبرهم وجلدهم مع حرصهم على نبيهم ﷺ.

٤ - تمييز الله تعالى المؤمنين الصادقين، وفضح المنافقين، سواء بما أُنزل من آيات، أو فاهوا من عبارات

(١) راجع : فضائل المدينة المنورة ٣/١٧٧.

كشفت حقائقهم، أو انسحبوا من أرض المعركة عندما اشتد البرد، وزلزل الخلائق، وبلغت القلوب الحناجر.

٥ - نصر الله لرسوله ﷺ والمؤمنين من غير قتال، وكفاهم مؤنته، ورد كيد الخائنين والمرجفين، وطرد المشركين - شر طردة - من أرض المعركة، والله تعالى هو الناصر ، وهو الذى هزمهم ؛ ليوقن المؤمن أن الله على كل شيء قدير.

٦ - إرسال الريح والملائكة نصرًا لنبيه ﷺ ، وإن كانت الملائكة لم تقاتل كما حدث فى بدر ، ولكنهم قاموا بمهمة أخرى، حيث زلزلوا الكفار، وقذفوا فى قلوبهم الرعب، كما فعلوا فى بنى قريظة، وسبحان الله وما يعلم جنود ربك إلا هو.

٧ - القضاء على بنى قريظة، وهم من أقوى اليهود فى المدينة، فغنم المسلمون كمية كبيرة من السلاح والعتاد، والأموال، والأسرى ، والأرض .... وكانت هذه الغنائم عونًا للمسلمين، خاصة المهاجرين.

كما أعطت المسلمين قوة معنوية، ورفعت من قدرهم، فهابهم كثير من القبائل، وأنسى المسلمين ما لاقوه من ضعف وشدةٍ يوم الخندق.

٨ - تغير ميزان القوى بعد الخندق، حيث صار المسلمون يغزون قريشاً، لا العكس، فكانت العمرة فى السنة التالية، ومنعتهم قريش، فصار صلح الحديبية، ، الذى فتح الباب أمام المسلمين للعمرة فى السنة الأخرى ، ثم كان فتح مكة.

■ مسجد القبلتين :

شهد هذا المسجد المبارك صلاة العصر جماعة - على الراجح - نصفها الأول إلى قبلة المسجد الأقصى، ونصفها الثانى إلى الكعبة المشرفة، والراجح عند أهل العلم أن إمام المصلين فى هذه الصلاة لم يكن رسول الله ﷺ، فقد صلى النبى ﷺ بالناس إلى القبلة الجديدة صلاة الظهر بمسجده ﷺ ، ثم جاء رجلٌ ممن صلى خلفه ﷺ إلى قباء فوجدهم

يصلون العصر ، فأخبرهم بأنه صلى خلف رسول الله ﷺ إلى الكعبة . فتحول الإمام وتحول الناس خلفه فى مسجد القبلتين، من قبلة المسجد الأقصى إلى قبلة الكعبة المشرفة.

* عن البراء بن عازب (رضى الله عنهما) قال : كان رسول الله يصلى نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً ، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يُوجه إلى الكعبة، فأنزل الله قوله تعالى : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة/١٤٤].

فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود - ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة/١٤١].

فصلى مع النبى ﷺ رجل ، ثم خرج بعدما صلى، فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر يصلون - نحو بيت المقدس - فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ،

وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم، حتى توجهوا نحو الكعبة . متفق عليه[١].

وهنالك مساجد أخرى لكن لا يتيسر زيارتها، وبعضها لم يبق له أثر.

فاكتفى بذكر اسمها هنا ، ومن أراد بيانًا وتفصيلاً ؛ ففى المصادر ما يغنيه ويكفيه :

وهذه المساجد هى :

١ - مسجد الجمعة.

٢ - مسجد الإجابة.

٣ - مسجد بنى الأشهل.

٤ - مسجد المصلى «الغمامة».

٥ - مسجد أبى ذر (مسجد السجدة).

٦ - مسجد البغلة (بنى ظفر).

٧ - مسجد بنى قريظة .

٨ - مسجد الفضيح (الشمس).

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب تحويل القبلة، رقم / ١٢.

٩ - مسجد السقيا.

١٠ - مسجد بنى زريق.

■ **البقيـــع :**

مقبرة أهل المدينة، ويقع بجوار المسجد النبوى الشريف جهة الجنوب الشرقى. وسُمى بقيع الغرقد لأن شجر الغرقد كان ينمو به ، وأول من دفن بالبقيع هو عثمان بن مظعون (رضى الله عنه) وهو أول رجل مات من المهاجرين[١].

وأول من دفن فى البقيع من الأنصار هو : أسعد بن زرارة، ثم تلاحقت قبور الأنصار والمهاجرين حتى قيل : دفن فى البقيع عشرة آلاف صحابى (رضى الله عنهم أجمعين).

وكان النبى ﷺ يكثر زيارة أهل البقيع .

* عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع ، فيقول : «السلام

---

(١) أسد الغابة ، ٣/٤٩٥ ، الإصابة ١/٥٥..

عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجَّلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد». رواه مسلم(١).

وقد ورد فى صحيح السنة النبوية المطهرة أن الله تعالى أمر نبيه أن يزور أهل البقيع وأن يستغفر لهم.

* عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: ألا أحدثكم عنى وعن رسول الله ﷺ ؟ قلنا : بلى ، قالت : لما كانت ليلتى التى كان النبى ﷺ فيها عندى، انقلب ، فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع ، فلم يلبث إلا ريثما ظنَّ أنى قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً ، وانتعل رويداً ، وفتح الباب، فخرج، ثم أجافه رويداً ، فجعلت درعى فى رأسى، واختمرت، وتقنعت إزارى، ثم انطلقت فى إثره، حتى جاء البقيع، فقام، فأطال القيام ، ثم رفع يده ثلاث مرات، ثم انحرف، فانحرفت، فأسرع، فأسرعت، فهرول ، فهرولت، فأحضر، فأحضرت

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنائز: باب ما يقال عند دخول المقابر والدعاء لأهلها رقم/١٠٢.

فسبقته، فدخلتُ، فليس إلا أن اضطجعت ، فدخل.

فقال : «ما لك يا عائشُ حشيًا رابية؟» قالت : قلت: لا شيء، قال : «لتُخبرينى أو ليخبرنى اللطيف الخبير».

قالت : قلت : يا رسول الله – بأبى أنت وأمى – فأخبرته.

قال : «فأنت السواد الذى رأيت أمامى.؟»

قلت : نعم. فلهدنى فى صدرى لهدةً أوجعتنى. ثم قال: «أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟».

قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله .

قال : «فإن جبريل أتانى حين رأيت. فنادانى، فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدتِ، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشى، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم.

قالت : قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله ؟

قــال : « قــولى : الســلام على أهل الديار المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون». رواه مسلم[١].

وأهل البقيع أول المقابر حشراً بعد سيدنا رسول الله ﷺ وسيدنا أبى بكر وعمر (رضى الله عنهما) .

* عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى، ثم أنتظر أهل مكة، فأحشر بين الحرمين». رواه أحمد والترمذى[٢].

يضاف إلى ما سبق أن أهل البقيع سيشفع لهم رسول الله ﷺ لثبوت شفاعة النبى ﷺ لمن مات بالمدينة المنورة.

وينبغى للمؤمن أن يستحضر فى عقله وقلبه عند الزيارة أن بالبقيع الأنصار الذين آووا ونصروا رسول الله ﷺ

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول المقابر والدعاء لأهلها، رقم/١٠٣.

(٢) سنن الترمذى : كتاب المناقب، باب فى مناقب عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)، رقم/٣٦٩٢.

وجاهدوا فى الله حق جهاده ، فزكاهم الله فى قرآنه وأثنى عليهم النبى ﷺ فى سنته.

وأن بالبقيع المهاجرين الذين ضحوا بأموالهم وأهليهم وبلدهم فى سبيل الله، وفى سبيل التمكين لدين الله عز وجل.

وأن بالبقيع الصحابة الكرام الذين قال النبى ﷺ فيهم: « الله الله فى أصحابى» ، وقوله : «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ، فرضى الله عنهم وجزاهم عنا وعن الإسلام خير الجزاء ، وألحقنا بهم مؤمنين صالحين.

وارزقنا يا ربنا شهادة فى سبيلك، ودفنًا بالبقيع فى رحاب الحبيب المصطفى.

■ **جبل أُحد :**

سمى بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال أُخر هنالك ، وكان النبى ﷺ يحب الاسم الحسن، وأُحد مشتق من الوحدانية، وكان ﷺ يحب الوتر فى شأنه كله فوافق ذلك اسم جبل أُحد.

* عن أنس (رضى الله عنه) قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أحد فقال : «إن أُحدًا جبل يحبنا ونحبه» متفق عليه[1].

ولا غرابة فى حمل حب أُحد للنبى ﷺ ولأمته على الحقيقة، ويشهد لذلك حنين الجذع شوقًا لرسول الله ﷺ كما مر بنا، وتسبيح الحصى فى يده ﷺ ، فشوق الجمادات لرسول الله ﷺ حاصل متواتر، كما أثبت القرآن الخشية والخشوع للجمادات قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة/٧٤] ، وقال أيضًا : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء/٤٤]، وقال أيضًا : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر/٢١].

وهناك آراء أخرى لبعض العلماء ولكنها مرجوحة بالرأى السابق ذكره. والله أعلم.

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج: باب أحد جبل يحبنا ونحبه، رقم/٥٠٤.

وقد ثبت أن جبل أُحد اضطرب تحت النبى ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان (رضى الله عنهم) فضربه النبى ﷺ برجله ، وقال : «اثبت أُحد، فما عليك إلا نبى ، وصديق ، وشهيدان»(١).

■ **شهداء أحد :**

من أعظم الدروس فى تاريخ الدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله، لقد أنزل الله تعالى فى شأنهم ستين آية من سورة آل عمران، من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران/١٢١] إلى قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ [آل عمران/١٧٩].

ولشهداء أحد مكانة خاصة على نحو ما تظهر الأحاديث الشريفة التالية :

* عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما)، أن رسول

---

(١) صحيح البخارى: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبى ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً، ٤/٢٠٠.

الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟» فإذا أشير إلى أحَد، قَدَّمه فى اللحد وقال : «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة» وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يصلِّ عليهم ولم يغسلوا. رواه البخارى[١].

* عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ نريد قبور الشهداء، حتى إذا أشرفنا على حَرَّةِ واقم، فلما تدلينا منها، فإذا قبور بمَحْنِيَة، فقلنا يا رسول الله : أقبور إخواننا هذه ؟ قال : « هذه قبور أصحابنا» فلما جئنا قبور الشهداء ، قال : « هذه قبور إخواننا». رواه أبو داود[٢]، وفى هذا دلالة على زيارة النبى ﷺ لهم.

الملائكة تغسل بعض شهداء أحد :

* عن عبد الله بن الزبير (رضى الله عنهما) قال :

---

(١) صخيخ البخارى : كتاب المغازى، باب من قتل من المسلمين يوم أحد، ٥/٣٩.
(٢) سنن أبو داود : كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم / ٢٠٤٣.

سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبى عامر، بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن حرب، حين علاه شداد بن الأسود (بن شعوب) بالسيف فقتله [فى رواية السراج: فلما استعلى حنظلة، رآه شداد بن شعوب، فعلاه بالسيف حتى قتله، وقد كاد يقتل أبا سفيان] فقال رسول الله ﷺ : «إن صاحبكم تغسله الملائكة، فاسألوا صاحبته ؟» فقالت : إنه خرج لما سمع الهائِعة - وهو جنب - فقال رسول الله ﷺ : «لذلك غسلته الملائكة». رواه الحاكم [1].

* عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال : لقينى رسول الله ﷺ فقال لى : « يا جابر مالى أراك متكبراً؟» قلت: يا رسول الله استُشهد أبى ؛ قتل يوم أُحد، وترك عيالاً وديناً، قال : «أفلا أبشرك بما لقى الله به أباك ؟» قال : قلت: بلى يا رسول الله، قال ﷺ : «ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيى أباك، فكلمه كفاحًا، فقال: يا عبدى تمنَّ علىَّ أعطك، قال : يا رب تُحيينى فأقتل فيك ثانية، قال: الرب عز

---

(١) المستدرك ٣/٢٠٤ - ٢٠٥.

وجل: إنه قد سبق منى ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [يس/٣١] قال : وأنزلت هذه الآية : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية» رواه الترمذى - وحسنه - والحاكم وصححه[١].

وقوله : «كفاحًا» أى من غير حجاب. والله أعلم.

ومن الدروس المستفادة من هذه الغزوة :

(١) ترك الرماة لمواقعهم من أنفسهم، والتخلى عن دورهم ومهمتهم، وانشغالهم بجمع الغنائم، كان من أكبر الأسباب التى حولت نصر المسلمين فى بداية غزوة أحد إلى هزيمة، وهذه نتيجة مخالفة هديه ﷺ.

(٢) خطورة الشائعات على الأمة، فما من شك فى أن إشاعة المشركين أن رسول الله ﷺ قتل قد أثَّر على المسلمين وأربك صفوفهم وفرقهم، وبلغ عدد شهداء أحد حوالى السبعين - على أرجح الأقوال - على رأسهم سيدنا حمزة عم رسول الله ﷺ ، وسيدنا مصعب بن عمير الذى فتح المدينة بالقرآن.

(١) سنن الترمذى : كتاب تفسير القرآن: من سورة آل عمران، رقم/٣٠١٠ .

أعرفت أنك بالمدينة[١]

أعـــــرفت أنك بـالمدينـة تـرتـع
تتنفس الذكـر الحـبـيـبـة تقـتـدى
أعــرفت أنك فى مـــدينة أحـــمـــد
سـاد الخليـقـة عـربهـا والأعـجـمـا
كـــأن أذنك تصـــغين لصـــوته
بالأمـــر والنهى الإلهى مـــعلمًـــا
وتخــال نفـسك والصــلاة مـقـامـة
أصـبحت مـأمـومًـا لأحـمـد مـثلمـا
صلى بأمــجـاد الرجــال بعــصــره
أمـا القـتـال ترى الإمـامـة أعظمـا
وإذا جلست بروضـــــة من جنة
تغـــدد بجنتك الأخـــيـــرة حـــالما

---

(١) فضائل سيدة البلدان/ ١١٣.

أعـــرفت أنك بالمدينة عندمـــا

تلقى التـحـيـة للرسـول مُـسَـلِّمـا

وعلى رفــيق الغــار نام بجنبــه

وعلى مـعـز الدين سـاعـة أسلمـا

فتـقـول نعـمـا الصـاحـبان ترافـقـا

فى قبر خير الخلق قلها مقسما

رغم الأولى سبـوا صـحـاب نبينا

والأمـــهـات فـبـئس قــولاً ظالما

أحـبـاب رب العـرش هم أحـبـابنا

والله يجـزى رافـضًـا أو ناقـمـا

أعـــرفت أنك بالمدينة عندمـــا

طافت بخـاطرك الأمـانى هائمـا

ترجـــو مـــجــيـئك كى تفــوز

بنظرة فـــرأيت ركـــبك قـــادمـا

وإذا رجـاؤك قـد تحـقق حـينمـا

ألقـيت نفـسك سـاجـدًا أو قـائمـا

فى مـسـجـد ضـم النبى وصـحـبـه

وجليـسـهـم جـبـريل حـزت الأنعـمـا

أو بعـد هذا تسـتـبـيح حـبـيـبـة

عند الإله تكون عــبـــدًا آثـمـــا

يا درة الإسـلام طيـبى خـاطرا

سـتـرين من يؤذيك يومًـا نادمـا

فكمـا بدأتِ يعـود مـجـدك ثانيـا

ويكون حكمك فى البـرية حـاسـمـا

في رحاب
مكة المكرمة

مكة المكرمة

● أسماؤها :

لمكة أسماء كثيرة تدل على علو منزلتها وعظيم شأنها، أهمها تلك التى وردت فى آيات القرآن الكريم، وهى :

(١) مكة : قال الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح/٢٤] .

(٢) بكة : قال الله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران/٩٦].

(٣) أم القرى : قال الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى/٧].

(٤) القرية : قال الله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ

عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف/٣١] . والمقصود بالقريتين هنا : مكة والطائف .

(٥) **البلد الأمين** : قال الله تعالى : **﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾** [التين/٢] .

(٦) **البلد** : قال الله تعالى : **﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾** [البلد/١، ٢] .

(٧) **البلدة** : قال الله تعالى : **﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾** [النمل/٩٨] .

(٨) **معاد** : قال الله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾** [القصص/٨٥] .

● فضائل مكة المكرمة :

جعل الله مكة حرمًا آمنًا ؛ وفى هذا تعظيم لشأنها ورفعة لقدرها، قال تعالى :

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة/٩٧].

وهذا التحريم يشمل مكة كلها إلى الحدود التى ينتهى عندها الحرم، وتلك الحدود وضعها نبى الله إبراهيم - عليه السلام - بتوجيه من جبريل - عليه السلام .

وقد نصبت على هذه الحدود أعلام فى جهات خمس، وهذه الأعلام عبارة عن أحجار مرتفعة قدر متر منصوبة على جانبى كل طريق، وهى كالتالى :

١- حد الحرم المكى من جهة الشمال : التنعيم، وبينه وبين مكة ٦ كيلو مترات.

٢ - حد الحرم المكى من جهة الجنوب : أضاه، بينها وبين مكة ١٢ كيلو مترًا.

٣ - حد الحرم المكى من جهة الشرق : الجعِرَّانة، بينها وبين مكة ١٦ كيلو متراً.

٤ - حد الحرم المكى من جهة الشمال الشرقى : وادى نخلة، وبينه وبين مكة ١٤ كيلو متراً.

٥ - حد الحرم المكى من جهة الغرب : الشميسى، وبينها وبين مكة ١٥ كيلو متراً.

ويترتب على تحريم مكة الأمور الفقهية التالية :

١ - تحريم صيدها :

فصيد الحرم (مكة) حرام على المحرم وغير المحرم، ويستثنى من ذلك خمسة أصناف (الفواسق)، وسيأتى بيانها.

٢ - تحريم لقطتها :

فلقطة الحرم (مكة) لا يجوز أخذها إلا للحفظ والتعريف، قال النبى ﷺ يوم فتح مكة : «إن هذا البلد حرمه الله ، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عَرَّفها»، ونهى النبى ﷺ عن لقطة الحاج، فربما عاد الحاج إلى موضعه مرة أخرى فوجد لقطته.

٣ - تحريم قطع شجرها :

فشجر الحرم وحشيشه يحرم قطعه على المحرم وغير المحرم، ومذهب مالك فيمن قطع شيئًا من شجره فعليه بالاستغفار، فى حين يوجب الشافعى وأبو حنيفة الفدية (بقرة عن الشجرة الكبيرة، وشاة عن الشجرة الصغيرة عند الشافعى).

أما ما يُنْبِتُه الناس ويزرعونه من الزرع والبقول والرياحين ونحوه، فمباح قطعه والاستفادة به دون فدية ولا استغفار.

كذلك يجوز رعى الإبل والماشية فى أعشاب مكة، وأيضًا يجوز أخذ الأعشاب للدواء.

٤ - تحريم القتال بمكة :

لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾ [البقرة/١٩١].

وقد قال النبى ﷺ فيما خطب به الناس يوم الفتح :

«إن مكة حرمها الله، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرًا، فإن أحد ترخص فى قتال فيها، فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن له ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها أمس» .

وهذا العموم يستثنى منه قتال البغاة والمعتدين ؛ حيث يقاتلون على بغيهم، إذا لم يمكن ردهم عن بغيهم - إلا بالقتال - وهو رأى جمهور الفقهاء.

واستثنى من القتل أيضًا الفواسق الخمس.

قال ﷺ : «خمس من الدواب كلهن فاسق يُقتلن فى الحرم : الغراب ، والحدأة ، والعقرب، والفأرة ، والكلب العقور».

ومعنى فواسق هنا : أن هذه الخمس خرجت عن الحكم العام من حرمة القتل، وليس المقصود المعنى الشرعى للفسق : (الفساد والمعصية).

٥ - تغليظ العقوبة على ارتكاب الجنايات فى حرم مكة:

حيث تغلظ الدية على من ارتكب جناية القتل بالحرم.

٦ - النهى عن حمل السلاح بمكة إلا لضرورة أو حاجة:

قال ﷺ: «لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة» [رواه مسلم].

ويخرج عن هذا النهى حمل السلاح لحفظ الأمن وحماية الناس وهذا خاص بأولى الأمر والقائمين على رعاية أمور أمن البلاد.

٧ - تحريم دخول المشركين إلى مكة:

لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة/٢٨]. والمراد بالمسجد الحرام فى الآية: الحرم كله، يشهد لهذا قول الله تعالى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء/١]. فقد أسرى برسول الله ﷺ من بيت أم هانئ أو من بيت خديجة وكلاهما خارج المسجد.

٨ - العقاب على الهم بالسيئة فى الحرم :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج/٢٥].

٩ - الدجال لا يدخل مكة :

أخرج البخارى عن أنس - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة حافّين يحرسونها».

١٠ - لا يدخلها من أراد الحج أو العمرة إلا محرمًا :

المسجد الحرام

١ - فضائله :

● هو أول بيت وضع للناس فى الأرض، قال الله تعالى :
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران/٩٦].

٢ - الحسنات فيه مضاعفة :

فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة ، قال النبى ﷺ : «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه » رواه أحمد وابن ماجة .

٣ - السيئات فيه مضاعفة :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج/٢٥].

٤ - تحيته الطواف :

على خلاف بقية المساجد فتحيتها صلاة ركعتين.

٥ - الدعاء فيه مستجاب :

استحباب أن ينوى المسلم الاعتكاف كلما دخل المسجد الحرام، ولو لحظة، ليدخل فى فضل الله فى الآية : ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة/١٢٥].

٦ - يستحب لأهل مكة صلاة العيد فيه، لا فى الصحراء.

هذا بالإضافة إلى الفضائل الأخرى المتعلقة بما فى الحرم من مقدسات لها خصوصيتها : (الكعبة المشرفة، الحجر الأسود، الركن اليمانى، حِجْر إسماعيل، مقام إبراهيم، زمزم، الصفا ، المروة وغيرها ..). وسيأتى بيانها.

الكعبة المشرفة

بناء مكعب مجوف من الداخل، تكرر بناؤها على مر الزمان، وأود أن نركز الاهتمام على بناء قريش للكعبة قبل بعثة النبى ﷺ بخمس سنين، لما تعرضت الكعبة لحريق بسبب اشتعال أستار الكعبة أثناء تجمير الكعبة (تبخيرها) مما أدى إلى هدم بعضها، ودخلتها السيول، فعزمت قريش على بنائها، فكشفت قريش أساس الكعبة الذى وضعه نبى الله إبراهيم – عليه السلام – فلما عزموا على البناء حسبوا ما جمعوه من نفقة حلال تخلوا من مال الربا، فوجدوه لا يفى لبناء الكعبة على القواعد التى وضعها نبى الله إبراهيم – عليه السلام ، فنقصوا من عرضها ست أذرع وشبراً من جهة حِجر إسماعيل، وحدث أثناء بناء قريش للكعبة اختلاف القبائل على وضع الحجر، وحكم رسول الله ﷺ فى وضع الحجر، وسوف يأتى بيانه عند الحديث عن الحجر الأسود، وبعد البعثة أقر النبى ﷺ هذا البناء.

وأخرج النسائى والترمذى عن عائشة - رضى الله عنها- أن رسول الله ﷺ أخذها إلى الكعبة، وعَرَّفها أن الكعبة قد انتقص من طولها من جهة حجر إسماعيل، ثم قال النبى ﷺ : «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت البيت فبنيته على أساس إبراهيم».

وهنا عبرة غالية، نتعلمها من رسول الله ﷺ فى تقدير الواقع ورعاية حال المتلقى.

وهذا من حكمته ﷺ فى الدعوة إلى الله عز وجل، كيف لا ؟! وهو ﷺ القائل : «خاطبوا الناس على قدر عقولهم، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟!» .

وهذا درس للمصلحين والدعاة والمربين.

ولعل ما سبق يفسر لنا بوضوح سبب الطواف حول حجر إسماعيل مع الكعبة، حيث إن الحِجر جزء من الكعبة.

■ سدنة الكعبة :

هم جماعة (بنى شيبة) يتوارثون خدمة الكعبة بأمر رسول الله ﷺ ، وقصة ذلك أن النبى فى فتح مكة، دخل البيت وطاف ، ثم دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، فأمر بها ففتحت، فدخلها ﷺ وطهرها مما بها من مظاهر الشرك والكفر، ثم جلس النبى ﷺ فى المسجد، فقام إليه على - رضى الله عنه - ومفتاح الكعبة فى يده، فقال يا رسول الله : اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ : «أين عثمان بن طلحة ؟ فَدُعى له، فقال له : هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء»

وفى رواية ابن سعد فى الطبقات أنه قال له حين دفع المفتاح له : «خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف».

ونزل فى هذا الموقف قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء/٥٨].

الحجر الأسود

يوجد الحجر الأسود فى ركن الكعبة الشرقى القريب من باب الكعبة، وهو على ارتفاع متر واحد ونصف المتر من أرض المطاف، ومحاط بإطار فضى من الخارج، ولا يظهر منه شىء الآن حيث يغطى بطبقة من عجين الشمع والمسك والعنبر ونحو ذلك، وقد وضعه فى هذا الموضع نبى الله إبراهيم ﷺ ليكون علامة بداية للطواف حول الكعبة.

روى الأزرقى، كان سيدنا محمد ﷺ هو آخر من وضعه من الأنبياء ، وذلك حين جددت قريش بناء الكعبة، ثم اختلفوا فيمن يضع الحجر حتى كاد أن ينشب بينهم قتال بالسيوف، فقالوا : اجعلوا بينكم أول رجل يدخل من الباب، فدخل رسول الله ﷺ ؛ فقالوا : هذا الأمين، فأمر النبى ﷺ بثوب فَبُسِط ، ثم وضع الحجر فيه، ثم قال : ليأخذ من كل قبيلةٍ رجلٌ من ناحية الثوب، ثم رفعوه، ثم أخذه النبى ﷺ فوضعه وكان هذا قبل بعثته بخمس سنين فى يوم

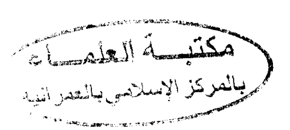
الإثنين، أخرج الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : ولد النبى ﷺ يوم الإثنين، واستُنبئ يوم الإثنين، وتوفى يوم الإثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الإثنين، وقدم المدينة يوم الإثنين ، ورَفَع الحجر الأسود يوم الإثنين».

● فضائل الحجر الأسود :

١ - الحجر الأسود نزل من الجنة :

لقول النبى ﷺ : «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة» أخرجه الترمذى ، وأحمد ، والحاكم، وابن حبان وصححه، وهذاثابت عند أهل السنة والجماعة دون خلاف

تنبيه : إذا أطلق لفظ الركن فالمقصود : الحجر الأسود، فالركن ، والركن الأسود، والحجر الأسود، كلها بمعنى واحد.



وفى رواية البيهقى : «ولولا ما مَسَّهما من خطايا بنى آدم لأضاءا ما بين المشرق والمغرب، وما مَسَّهما من ذى عاهة ولا سقيم إلا شفى».

وأخرج الإمام أحمد فى سنده عن ابن عباس - رضى الله عنه - : أن النبى ﷺ قال : «نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضًا من اللَّبَن ، فسوَّدته خطايا بنى آدم».

وروى الأزرقى عن وهب بن مُنَبِّه أن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - أخبره أن النبى ﷺ قال لعائشة - رضى الله عنها- وهى تطوف معه بالكعبة حين استلم الركن :

«لولا ما طُبِع على هذا الحجر يا عائشة من أرجاس الجاهلية وأنجاسها إذا لاستُشفِىَ به من كل عاهة، وإذًا لأُلفِى اليوم كهيئته يوم أنزله الله عز وجل، ولَيُعيدَنَّه إلى ما خلقه أول مرة، وإنه لياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة، ولكن

الله سبحانه وتعالى غَيَّره بمعصية العاصين، وسَتَر زينته عن الظلمة والأثمة، لأنه لا ينبغى لهم أن ينظروا إلى شىء كان بَدْؤه من الجنة».

٢ - الحجر الأسود يمين الله فى الأرض :

فقد روى الأزرقى وابن عمر بإسناد صحيح عن ابن عباس - رضى الله عنهما - : «إن هذا الركن يمين الله فى الأرض يصافح به عباده مصافحة الرجل أخاه».

والمعنى - والله أعلم - ما يتنزل بسبب تقبيل الحجر أو الإشارة إليه من فضل الله ورحمته وواسع مغفرته، ويشهد لهذا المعنى ما رواه ابن ماجة عن حُميد بن أبى سوية - رضى الله عنه - قال : سمعت ابن هشام يسأل عطاء بن أبى رباح عن الركن اليمانى وهو يطوف بالبيت، فقال عطاء: حدثنى أبو هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «وُكِّلَ به سبعون مَلَكًا فمن قال : اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى

الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» قالوا : آمين.

فلما بلغ الركن الأسود قال : يا أبا محمد ما بلغك عن هذا الركن الأسود ؟ فقال عطاء : حدثنى أبو هريرة - رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «من فاوضه فإنما يفاوض يد الرحمن».

٣ - الحجر الأسود يشهد لمن استلمه :

فقد أخرج ابن خزيمة فى صحيحه ، والحاكم فى المستدرك، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال : «يأتى الركن يوم القيامة أعظم من أبى قُبَيْس، له لسان وشفتان يتكلم عَمَّن استلمه بالنية، وهو يمين الله يصافح بها خلقه».

ومعنى استلمه : أى لمسه بيده أو بالقبلة (أى بشفتيه).

● عند الحجر الأسود تسكب العبرات وتستجاب الدعوات :

فقد أخرج ابن خزيمة فى صحيحه عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : «استقبل النبى ﷺ الحجر، ثم وضع شفتيه عليه، يبكى طويلاً، ثم التفت؛ فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكى ، فقال : يا عمر ها هنا تسكب العبرات».

● فقه استلام الحجر :

الرغبة فيما عند الله من فضل ورحمة ومغفرة باستلام الحجر، تجعل كثيرًا من الحجاج والمعتمرين والزوار يتزاحمون على الحجر، وقد يصل الأمر إلى المدافعة التى تلحق الأذى بالضعفاء والنساء وكبار السن، فضلاً عن ذهاب السكينة والخشوع الذى ينبغى لمثل هذه العبادة العظيمة. وربما ظن بعضهم جهلاً أن فوات استلام الحجر يؤثر على حجه أو عمرته أو زيارته.

والرجوع إلى فعل المصطفى سيدنا محمد ﷺ (أعبد خلق الله لله، أتقانا لله وأخشانا له، الأسوة والقدوة التى

أمرنا الله أن نتبعها) يصحح الموقف.

لقد بَيَّن النبى ﷺ أن تقبيل الحجر واستلامه سنة، والمدافعة وإيذاء الغير جناية وذنب، ثم إن النبى ﷺ طاف بالبيت على بعير، وكان كلما أتى الركن أشار إليه.

وإن كان هذا فى حق الرجال، فما بال النساء، إن السيدة عائشة - رضى الله عنها- أم المؤمنين وقدوة النساء الصالحات كانت لا ترى استلام الحجر إلا عند خُلُوِّه، وكانت تزجر من كانت تدافع أو تزاحم من أجل استلام الحجر.

أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال له : «يا عمر إنك رجل قوى، لا تزاحم على الحجر، فتؤذى الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه، وإلا فاستقبله وهلل وكبر».

فليحذر المسلم من المزاحمة والمدافعة عند الحجر، فقد

يلحقه إثم بسبب المزاحمة أكثر مما يجنيه من الثواب.

ولا ينسى المسلم أنه فى عبادة ينبغى أن يكون حاله فيها السكينة والخشوع، أما عن الدعاء عند الحجر الأسود، عند استلامه أو عند الإشارة إليه، فبحسب المسلم ما ورد من صحيح السنة، من ذلك ما أخرجه البخارى - رضى الله عنه - فى صحيحه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : «طاف النبى ﷺبالبيت على بعير، كلما أتى الركن أشار إليه بشىء كان عنده، وكبَّر ».

ولما سأل الصحابة رسول الله ﷺ : يا رسول الله كيف نقول إذا استلمنا الحجر؟

قال ﷺ : «قولوا بسم الله والله أكبر، إيمانًا بالله وتصديقًا بما جاء به رسول الله ﷺ».

● الركن اليمانى :

هو الركن الجنوبى الغربى من الكعبة المشرفة، والركن اليمانى والركن الأسود (الذى به الحجر الأسود) كلاهما

على القواعد الأولى للبيت، التى رفعها نبى الله إبراهيم - عليه السلام - والمشار إليها فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة/١٢٧].

بخلاف الركنين جهة حجر إسماعيل فليسا على قواعد سيدنا إبراهيم - عليه السلام .

وسمى الركن اليمانى ، نسبة إلى اليمن، حيث هو من جهتها.

ويُكشف جزء منه كى يتمكن الطائف من مسحه بالكفين اقتداء برسول الله ﷺ فقد أخرج البخارى - رحمه الله - فى صحيحه عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان لا يستلم إلا الحجر والركن اليمانى، وذلك يكون فى كل مرة من مرات الطواف السبعة.

مع ملاحظة أدب ذلك كما مَرَّ فى استلام الحجر، وإذا

لم يتمكن الطائف من استلام الركن اليمانى فالأرجح أن لا يشير إليه،

● حجر إسماعيل - عليه السلام - :

هو الحائط الموجود على شكل هلال (نصف دائرة) شمال الكعبة، وهو من المواطن التى يستجاب فيهاالدعاء ، وهو بوضعه الحالى يشتمل على ستة أذرع من الكعبة.

وقد ذكر كثير من العلماء أن نبى الله إسماعيل - عليه السلام - قد دفن بالحجر هو وأمه. (ذكر ذلك ابن إسحاق وابن هشام وابن جرير الطبرى وابن كثير وغيرهم)

ويسمى حجر إسماعيل أيضًا (الحطيم) .

ويطلق الحطيم على موضعين ، هما :

١ - ما بين الركن والباب (أى على الملتزم).

٢ - حجر إسماعيل.

● الملتزم :

ويطلق عليه الحطيم أيضًا، وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة، وسمى بالملتزم لأن الناس يلتزمونه ويدعون عنده، وهو من المواطن التى يستجاب فيها الدعاء.

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قد وضع وجهه وصدره وذراعيه وكفيه بالملتزم.

أخرج أبو داود فى سننه أن عبد الله بن عمرو طاف ثم استلم الحجر وأقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه، وبسطهما بسطًا، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله.

ومما ذكر الأزرقى فى فضل الملتزم بسنده أن آدم عليه السلام طاف سبعًا بالبيت حين نزل إلى الأرض، ثم صلى أمام الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم ؛ فقال : «اللهم إنك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى، وتعلم ما فى نفسى وما

عندى، فاغفر لى ذنوبى، وتعلم حاجتى فأعطنى سُؤلى، اللهم إنى أسألك إيمانًا يباشر قلبى، ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبت لى، والرضا بما قضيت علىَّ» فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم قد دعوتنى بدعوات واستجبت لك، ولن يدعونى بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وغمومه، وكففت عن ضيعته ونزعت الفقر من قلبه ، وجعلت الغنى بين عينيه، وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها». قال : فمنذ طاف آدم كانت سنة الطواف.

● مقام إبراهيم – عليه السلام :

المقام بفتح الميم من قام يقوم : موضع القيام، أما المُقام بضم الميم من أقام يقيم.

والمقصود بمقام إبراهيم هو الحجر الذى قام عليه نبى الله إبراهيم – عليه السلام – حين ارتفع بناؤه للبيت، فاستعان بذلك الحجر، يقف عليه ويبنى.

وفى هذا الحجر أثر قدمى إبراهيم الخليل، حيث جعل الله هذا الحجر تحت قدمى نبى الله إبراهيم، فى رطوبة الطين حتى غاصت قدماه فيه، ليكون آية ظاهرة، وهو الحجر الموجود اليوم فى المقصورة الزجاجية الشفافة، حيث تُرى من خلالها هيئة القدمين بوضوح.

● **فضائله :**

١ - أن الله أمر المسلمين بالصلاة خلفه، قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة/١٢٥].

جاء فى السنة أن رسول الله ﷺ مر بالمقام ومعه عمر، فقال : يا رسول الله أليس هذا مقام أبينا إبراهيم ؟ قال : بلى. قال : أفلا نتخذه مُصلى ؟ قال : لم أومر بذلك. فلم تغب الشمس حتى نزلت : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة/١٢٥].

٢ - أن المقام نزل مع الحجر الأسود من الجنة وقد سبق ذكر الأحاديث الدالة على ذلك، فهذا الحجر الذى كان

يقف عليه نبى الله إبراهيم - عليه السلام - كلما ارتفع البنيان ليتمكن من البناء. وكان يعلو بنبى الله إبراهيم كلما ارتفع البنيان ليتمكن من البناء . ليتمكن من البناء، وكان يعلو بنبى الله - عليه السلام - حتى أذن فى الناس بالحج. (البحر المحيط، شرح المنهاج، السيرة الحليبية. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم).

وقد أراد ربك أن يجعله علامة باقية لهذه المعجزة ، فجعل قدمى نبى الله إبراهيم - عليه السلام - تغوصان فيه؛ لتبقى العظة والعبرة... وإن الله على كل شىء قدير.

فالمكان كله أسرار وعظات من الحجر الأسود، ومن الأمر بذبح إسماعيل، ومن أمر زمزم.. وغيرها، وكلها أمور تجاوزت حدود الأسباب إلى قدرة كن فيكون، آمنا بالله رب العالمين.

● **فقه وبيان بشأن الصلاة خلف المقام :**

كثيراً ما نرى الناس يتزاحمون للصلاة خلف المقام قريبًا منه، ظنًا أن خلف المقام مقصور على ما كان قريبًا

منه من الخلف، وقد أشار العلماء إلى أن كل المسجد الحرام خلف المقام فى أوقات الزحام وبخاصة فى أثناء الحج. ومن هنا وجب أن نفسح المجال للطائفين بالتأخر حسب الحاجة، وإتاحة الفرصة لحركة الطواف، ومن يرد الله به خيراً يفقه فى الدين، والله تعالى أجل وأعلم.

● زمــزم :

تلك الآية العظيمــة فى بيت الله الحــرام، والتى كـانت جـانبًا من فـضـل الله تعـالى إجـابة لدعـاء نبى الله إبراهيم ﷺ الخليل - عليه السلام -.

﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَـيْـرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْـوِى إِلَيْـهِمْ وَارْزُقْـهُم مِّنَ الثَّـمَـرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم/٣٧].

ماؤها خير مـاء، كله أسرار وبركات، يمر عليها الزمان،

وتتوالى آلاف السنين دون أن ينضب ماؤها، إن الله على كل شىء قدير، اللهم زدنا إيمانًا وتصديقًا.

● قصة زمــزم :

من يستعرض أحداث هذه القصة وما يتبعها ، ويرتبط بها من أحداث ومعجزات؛ يظهر له بوضوح أن أوامر الله تعالى غالية أغلى من النفس، ومن المال ومن الولد ومن الزوج ، كما يظهر للمتأمل لقصة زمزم أن شأن المؤمن المسارعة فى الاستجابة لأمر الله تعالى من فعل الخيرات وترك المنكرات.

كما يظهر أيضًا للمتدبر لقصة زمزم أن من عظَّم أوامر الله تعالى وقدمها على حظ نفسه وهوى قلبه عَظَّم الله شأنه، ورفع الله منزلته، ونال من إكرام الله تعالى فوق ما يريد من حيث لا يحتسب .

إن قصة زمزم درس عظيم فى حسن الإيمان بالله عز

وجل وصدق التوكل على الله تعالى .

فى قصة زمزم حكم وأسرار وبركات وأنوار لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

وإليك أخى المؤمن القصة بألفاظها العطرة، كما وردت على لسان الذى لا ينطق عن الهوى سيدنا محمد ﷺ، وكما أخرجها البخارى فى صحيحه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : جاء إبراهيم ﷺ بأم إسماعيل وبابنها إسماعيل وهى تُرضعه، حتى وضعها عند البيت، عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعها هناك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسِقاء به ماء، ثم قَفَّى إبراهيم منطلقًا - أى توجه راجعًا من حيث أتى - فتتبعته أم إسماعيل؛ فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شىء؟! فقالت له ذلك مراراً. وجعل لا يلتفت إليها، قالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم، قالت: إذا لا يُضيِّعُنا. ثم

رجعت، فانطلق إبراهيم ﷺ، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات، فرفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ حتى بلغ ﴿يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم/٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما فى السقاء، عطشت، وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال : يتلبَّط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادى تنظر هل تَرى أحداً؟ فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى، رفعت طرف ذراعيها، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المروة، فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً. ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس - رضى الله عنهما - قال النبى ﷺ : «فذلك سعى الناس بينهما» فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً،

فقالت : صه - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضًا؛ فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هى بذلك عند موضع زمزم، فبحث بعقبيه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف، وفى رواية : بقدر ما تغرف. قال ابن عباس - رضى الله عنهما - قال النبى ﷺ: «رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال : لو لم تغرف من الماء، لكانت زمزم عينًا معينًا»، قال : فشربت، وأرضعت ولدها، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة فإن ههنا بيتًا لله يبنيه هذ الغلام وأبوه، وإن الله لا يُضَيِّعُ أهله، وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم مقبلين عن طريق كَدَاءَ، فنزلوا فى أسفل مكة، فرأوا طائرًا عائفًا فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء، لَعَهْدُنَا بهذا الوادى وما فيه ماء، فأرسلوا جَرِيًا أو جريَّين. فإذا هم بالماء فرجعوا، فأخبروهم،

فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت : نعم، ولكن لاحق لكم فى الماء، قالوا : نعم، قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : «فَألفَى ذلك أم إسماعيل، وهى تحب الأُنْسَ - فنزلوا - فأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كانوا بها أهل أبياتٍ، وشب الغلام ، وتعلَّم العربية منهم، وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يُعالج تركته ، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت : خرَج يبتغى لنا - وفى رواية : يَصيد لنا - ثم سألها عن عيشهم وعيشتهم، فقالت : نحن بِشَرٍّ، نحن فى ضيق وشقاء، وشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك، اقرئى عليه السلام، وقولى له يغيِّر عَتبَة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك، فأخبرته، فسألنى : كيف عيشَنا، فأخبرته أنا فى جهد وشدة، قال : فهل أوصاك بشىء ؟ قالت : نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام

ويقـول : غـيِّـر عـتـبـة بابك، قـال: ذاك أبى وقـد أمـرنى أن أفـارقك، الحـقى بأهلك، فطلقـهـا، وتزوج منهـم أخرى، فلبث عنهم إبراهـيم مـا شـاء ثم أتاهـم بعدُ، فلم يجده، فـدخل على امرأته، فسأل عنه، قالت : خرج يبتغى لنا، قال : كيف أنتم، وسألها عن عيشـتـهم وهيئتهم، فقالت : نحن بخير وسعة وأثنت على الله تعالى، فقال : ما طعامك ؟ فقـالت : اللحم. قال: فـمـا شـرابكم ؟ قـالت : الماء، قال : اللهم بـارك لهم فى البحر والماء، قال النبى ﷺ : «ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ ولو كان لهم لدعًا لهم فيه.

وفى رواية فجاء فقال :

أين إسـمـاعـيل ؟ فـقـالت امـرأته : ذهب يصـيـد، فقـالت امرأته : ألا تنزل، فتَطْعَمَ وتشـرَبَ؟ قال : ومـا طعامكم ومـا شرابكم ؟ قالت : طعامنا اللـحم، وشرابنا الماء، قال : اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم - قال :

فقال أبو القاسم ﷺ : «بركة دعوة إبراهيم ﷺ» قال: فإذا

جاء زوجك، فاقرئى عليه السلام ومريه يُثَبِّت عتبة بيته، فلما جاء إسماعيل، قال : هل أتاكم من أحدٍ؟ فقالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيكل، وأثنت عليه؛ فسألنى عنك، فأخبرته، فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشىء؟ قالت : نعم، يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بيتك. قال: هذا أبى، وأنت العتبة، أمرنى أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرى نبلاً له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه، قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولَدِ، والولد بالوالد فقال : يا إسماعيل إن الله أمرنى بأمر، قال : فاصنع ما أمرك ربك ؟ قال : وتعيننى ؟ قال : وأعينك، فقال: فإن الله أمرنى أن نبنى بيتًا ههنا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، فعند ذلك رفع القواعد، من البيت، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة، وإبراهيم يبنى حتى ارتفع البنيان، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبنى وإسماعيل يناوله

الحجارة وهما يقولان : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة/١٢٧].

● زمزم وعبد المطلب جد النبى ﷺ :

روى الأزرقى من طريق ابن إسحاق عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يُحدث حديث زمزم حين أُمِرَ عبد المطلب بحفرها قال :

قال عبد المطلب : إنى لنائم فى الحِجْر - حجر إسماعيل- إذ أتانى آتٍ؛ فقال : احفر طيبة، قال : قلت : وما طيبة؟، قال : ثم ذهب عنى، فرجعت إلى مضجعى، فنمت فيه، فجاءنى ؛ فقال: احفر بَرَّة، فقال: قلت : وما بَرَّة؟ قال : ثم ذهب عنى.

فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعى، فنمت فيه، فجاءنى قائلاً : احفر زمزم، قال : قلت : وما زمزم ؟ قال: لا تُنْزفُ أبدًا ولا تُذَمُّ، تَسقى الحجيج الأعظم.

قال: فلما أبان له شأنها، ودُلَّ على موضعها، وعرف أنه قد صُدِق، غدا بمعْوَله، ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولد غيره،

حتى إذا أمكن - عبد المطلب الحفر - واشتد عليه الأذى، نذر إن وفى - الله - له بناء زمزم ووفى له عشرة من الولد أن ينحر أحدهم فأتم بناء زمزم، ثم تزوج عبد المطلب النساء، فولد له عشرة رهط فأقرع بينهم،، فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحبُّ ولده إليه، فقال عبد المطلب: اللهم أهو أحب إليك أم مائة من الإبل ؟ ثم أقرع بينه وبين المائة من الإبل، فكانت القرعة على المائة من الإبل، فنحرها عبد المطلب.

وهكذا فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ويحفظ الله تعالى والد سيدنا رسول الله ﷺ عن أن يذبح، ويُفْدى بمائة من الإبل، لتتحقق إرادة الله تعالى، وليكون عبد الله بن عبد المطلب سبباً لولادة سيدنا محمد ﷺ، ومجيء وبعثة الرحمة المهداة من الله تعالى للعالمين أجمعين.

● **فضائل ماء زمزم :**

١ - ماء زمزم من الجنة:

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال النبى ﷺ : «فإنها من عيون الجنة» رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه.

ومعنى أن الروضة من الجنة، وأن الحجر الأسود من الجنة، وأن المقام من الجنة، وأن ماء زمزم من الجنة، المعنى والله أعلم: أن الحديث فى شأن هذه الأمور والمقدسات المباركة يجرى مجرى التمثيل للمبالغة فى تعظيم شأنها، لما فيه من الخير والبركة والكرامة ، ولما يتأتى بسببها من فضل الله فى الدنيا من بركات ، وفى الآخرة من دخول الجنة، ويقوى من شأن هذا المعنى الحديث : «الجنة تحت أقدام الأمهات» للدلالة على أن خدمة الأم ، والتفانى فى برها والتودد إليها يؤدى إلى الجنة ، وقدسبق تفصيل ذلك عند الحديث عن الروضة الشريفة بالمسجد النبوى الشريف.

٢ -ماء زمزم طعام طُعم وشفاء سُقم :

أى أنها تُشبع شاربها وتكون سببًا لشفائه من الأمراض.

أخرج ابن حبان فى صحيحه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعم، وشفاء السُّقم».

وأخرج البزار بإسناد صحيح عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «زمزم طعام طعُم، وشفاء سُقم».

٣ - ماء زمزم لما شرب له :

أخرج ابن ماجة فى سننه عن جابر - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ماء زمزم لما شُرِب له».

وزاد الحاكم فى المستدرك عن طريق ابن عباس - رضى الله عنهما- مرفوعًا : «فإن شربته تستشفى به شفاك

الله، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه الله».

ويقول الحكيم الترمذى : وهذا جارٍ للعباد على مقاصدهم وصدقهم فى تلك المقاصد والنيات، لأن المؤمن إذا رابه أمر فشأنه الفزع إلى ربه، فإذا أفزع إليه، واستغاث به وجد غِياثًا، وإنما ينال العبد على قدر نيته.

٤ - شرب ماء زمزم عبادة :

فقد نص على استحباب شرب ماء زمزم للحاج والمعتمر عند الفراغ من الطواف بالبيت وقبل السعى الأحناف والمالكية والشافعية.

٥ - ماء زمزم غُسل به قلب النبى ﷺ بواسطة سيدنا جبريل ﷺ :

أخرج مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل - عليه السلام -

وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشقَّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال : هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ ، ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمان يسعَوْن إلى أمه (مرضعته) فقالوا : إن محمداً قد قُتِلْ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

٦ - ماء زمزم نال بركة النبى ﷺ :

قد جعل الله لريق المصطفى ﷺ بركات، فكم شُفِى به من مرض، وكم نال به الصحابة من قوة وبركة ونماء، من ذلك ما حدث مع الإمام على - رضى الله عنه - يوم غزوة خيبر حين اشتكى عينيه. أخرج البخارى فى صحيحه عن سهل بن سعد - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه (وفى رواية له أيضاً: رجلاً يحبه الله ورسوله، أو قال : يحب الله ورسوله). فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كل منهم يرجو أن يُعطاها.

فقال ﷺ: «أين على بن أبى طالب؟»

فقالوا : يشتكى عينيه يا رسول الله.

قال ﷺ : «فأرسلوا إليه، فأتونى به».

فلما جاء ، بصق فى عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية ...».

ومن ذلك أن ريقه الشريف ﷺ بركة ظاهرة فى تكثير الماء الذى يكفى المئات بل الألوف، كما تم ذلك فى غزوة الحديبية.

روى البخارى فى صحيحه عن البراء - رضى الله عنه- قال : «كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها، حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبى ﷺ على شفير البئر ، فدعا بماء ، فمضمض، ومج فى البئر، فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى روينا، وروت (أو صدرت) ركائبنا».

وفى رواية له أيضًا من حديث جابر قال - رضى الله عنه- : «لو كنا مئة ألف لكفانا».

وغير ذلك الكثير من بركات ريقه الشريف ﷺ.

وقد نالت زمزم بريق المصطفى ﷺ البركة لتعم كل من شرب من ماء زمزم إلى أن تقوم الساعة.

أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال : «جاء النبى ﷺ إلى زمزم، فنزعنا له دلوًا، فشرب، ثم مج فيها، ثم أفرغناها فى زمزم».

والمج : إرسال الماء من الفم مع النفخ، وبهذا يُعلم أن بركة ريقه ﷺ حلَّت على زمزم، فازدادت زمزم بركة على بركة.

● آداب شرب ماء زمزم :

أرشد الفقهاء إلى آداب سبعة عند شرب ماء زمزم، تأسيًا برسول الله ﷺ :

١ - استقبال القبلة

٢- الشرب على ثلاثة أنفاس

٣ - التسمية عند الشرب.

٤ - حمد الله عند الانتهاء.

٥ - الإكثار من ماء زمزم والتضلع منها.

٦- الدعاء عند الشرب.

وهذا الآداب مستنبطة من فعله ﷺ عن ابن عباس - رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى صُفَّة زمزم، فأمر بدلو ، فنُزعت له من البئر، فوضعها على شفة البئر، ثم وضع يده من تحت الدلو، ثم قال : «بسم الله»، ثم كرع فيها، فأطال، وهو دون الأول، ثم رفع رأسه فقال : «الحمد لله»، ثم كرع فيها ، فقال : «بسم الله»، فأطال، وهو دون الثانى، ثم رفع رأسه، فقال : «الحمد لله»، ثم قال ﷺ : «علامة ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم ».

وأما تعليم ابن عباس - رضى الله عنهما - للرجل، فعن

عبد الرحمن بن أبى مُليْكة قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال له : من أين جئت ؟ فقال : شربت من ماء زمزم.

فقال له ابن عباس : أشربت منها كما ينبغى ؟

قال : وكيف ذلك يا ابن عباس ؟

قال : إذا شربت منها فاستقبل القبلة، واذكر اسم الله، وتنفس ثلاثًا، وتضلع منها ، فإذا فرغت ، فاحمد الله عز وجل، فإن رسول الله ﷺ قال : «آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم».

● حمل ماء زمزم إلى الآفاق :

أخرج الترمذى فى سننه عن عائشة - رضى الله عنهما- أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله، وقد نَصَّ على استحباب نقله من مكة وحمله والتزود منه فقهاء المذاهب الأربعة (جاء ذلك فى مواهب الجليل وحاشية ابن عابدين).

وجاء من أخبار السلف الصالح رضى الله عنهم أنهم

كانوا يحملون ماء زمزم خارج مكة إلى بيوتهم، وبلادهم ، وفضيلة ماء زمزم حاصلة - إن شاء الله - فى موضعه وفى غير موضعه، لأن فضله لعَيْنه، لا لأجل البقعة التي هو فيها، وإلا لما حمله رسول الله والصحابة الكرام والتابعين لهم.

الصفا والمروة

● **الصفا :**

هو جزء من جبل أبى قبيس، ويقع الآن داخل المسجد الحرام من جهة الجنوب عند باب الصفا.

● **المروة :**

هو جزء من جبل قُعيقعان ، قُبالة الصفا بالمسجد الحرام من جهة الشمال عند باب المروة، وأصبح الآن ممهداً.

والمسافة بين الصفا والمروة هى المسعى، وطوله (٤٠٥م) أربعمائة متر وخمسة أمتار.

● سبب نزول آية الصفا والمروة :

كان فى الجاهلية على الصفا وثن يسمى (إساف) وعلى المروة وثن آخر يسمى (نائلة) وكان العرب فى الجاهلية إذا طافوا بالبيت جاءوا إلى هذين الوثنين (إساف ، ونائلة) وتمسحوا بهما، فتحرج المسلمون عن السعى بين الصفا والمروة لما كان من أمر هذين الصنمين وتمسح المشركين بهما؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة/١٥٨].

وروى جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ لما دنا من الصفا ؛ قرأ قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ** ﴾ ، ثم قال : أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره، وقال : «لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ، ثم دعا بين ذلك؛ فقال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة ، حتى انصبت

قدماه فى بطن الوادى، حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا.

● عبر وعظات بين الصفا والمروة :

السعى بين الصفا والمروة يذكرنا بسعى السيدة هاجر - أم نبى الله إسماعيل عليه السلام - بينهما فى طلب الماء، فعلت ذلك سبع مرات، وقال النبى : «فذلك سعى الناس بينهما». كما مر فى حديث البخارى عند الكلام عن قصة زمزم.

وبعد السعى كان الفرج من الله تعالى، وكانت زمزم من حيث لا تحتسب هاجر، وهذا درس للمؤمن فى الاجتهاد والسعى وسع الطاقة، أما النتائج فهى على الله عز وجل.

غار حراء وغار ثور

● غار حراء :

■ فضله :

فيه كان يخلو النبى ﷺ قبل البعثة يتعبد لربه بعيداً عن مكة وما بها من صخب ونصب.

وفيه نزل الوحى على سيدنا محمد ﷺ بأول آية فى القرآن : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ [القلم / ١:٥].

فمنه بدأت النبوة والرسالة ولحظة الميلاد الأولى لخير أمة أخرجت للناس.

■ وصفه :

الغار عبارة عن فجوة بابها جهة الشمال، ويسع الغار نحو خمسة أشخاص جلوساً وارتفاعه نصف قامة الإنسان متوسط الطول تقريباً.

■ **موقعه :**

يقع على جبل حراء الذى يطلق عليه أيضًا جبل النور.

في شمال مكة على يسار الذاهب إلى عرفات، وقبل أن يعلو البناء ويمتد العمران كان الجالس فيه يرى الكعبة واضحة.

● **غار ثــور :**

■ **فضله :**

في هذا الغار اختبأ النبى ﷺ ومعه أبو بكر - رضى الله عنه - أثناء الهجرة إلى المدينة.

وحدثت آيات ومعجزات فى هذا الغار، منها : أن الله أمر الحمام أن يبيض على باب الغار، وأمر العنكبوت أن ينسج بيتًا على بابه كذلك.

وصرف الله أبصار الكفار عن النبى ﷺ، وجاء ذكر هذا الغار فى القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة/٤٠].

■ **موقعه :**

يقع الغار فى جبل ثور وهو جبل أكبر من حراء، والغار عبارة عن صخرة مجوفة فى قمة الجبل لها فتحتان.

● **عبر وعظات فى الغـار :**

ينبغى أن يمر المؤمن بهذه البقاع الشريفة متأملاً حال رســول الله ﷺ من السعى وسع الطاقة فى سبيل إقامة دين الله عز وجل ونشر الإسلام.

فما بال المسلمين اليوم لا يتأسون بنبيهم ﷺ **ويريدون أن تحل مشاكلهم، وأن تحقق آمالهم بعصا سحرية من عالم الغيب، دون جهاد أو عمل.**

ونسى المسلمون أن الله تعالى كما أمرنا بالإيمان بالغيب، فقد أمرنا بالأخذ بالأسباب، فجعل فعل السبب طاعة وترك السبب معصية، والاعتماد على السبب شرك بالله تعالى.

اللهم ردنا إلى الحق والصواب رداً جميلاً.

دار الأرقم

● **الأرقم :**

صحابى من السابقين إلى الإسلام، شهد بدراً وتوفى سنة (٥٢هـ). كانت له دار بمكة على الصفا، فلما أسلم جعلها وقفًا للمسلمين، وكان النبى ﷺ يجلس فيها بعيداً عن عيون قريش ، يدعو فيها للإسلام سراً ، وقد أسلم فى دار الأرقم كثير من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه ، وقد هدمت بسبب التوسعات المتوالية للحرم المكى الشريف.

● مقبرة مكة المكرمة :

أخرج البزار عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال عن مقبرة مكة : «نعم المقبرة هذه».

دفن فيها عشرات الصحابة - رضى الله عنهم - ودفن فيها أيضًا أسماء بنت أبى بكر الصديق، والسيدة خديجة بنت خويلد أولى زوجات النبى ﷺ.

وما زالت هذه المقبرة موجودة ، ويتمكن الزائر لمكة من زيارتها.

عرفات

عرفة أرض مستوية أصبحت مزروعة بالأشجار طولها ميلين وعرضها كذلك، تحيط بها سلسلة من الجبال، ولها حدود معلومة محددة بلافتات واضحة، وتقع على بعد حوالى ٢٥ كم من المسجد الحرام أى تقع فى الحل.

وعلى أرض عرفة (الوحيدة بين أماكن مناسك الحج) يجتمع الحجيج فى وقت واحد.

● سبب التسمية :

ذكر أهل العلم أسبابًا عديدة لتسمية هذه البقعة المباركة بـ «عرفات» ، أهمها :

١ - لأن الناس يتعارفون عليها.

٢ - لأن جبريل - عليه السلام - عَرَّف سيدنا إبراهيم - عليه السلام - المناسك ، فكان يُريه المشاهد، فيقول له: أعرفت ؟ ، أعرفت ؟ فيقول نبى الله إبراهيم - عليه السلام - : عرفت، عرفت.

٣ - لأن سيدنا آدم - عليه السلام - لما هبط من الجنة وكان من فراقه حواء ما كان، فلقيها فى ذلك الموضع فعرفها وعرفته.

٤ - لأنها بقعة مقدسة معظَّمة لما ينزل فيها من الرحمات

والمغـفـرة وواسع فـضل الله يوم وقـفـة عـرفـات على الحجيج، فكأنها عُرِّفت أى طيبت.

● **فضائل عرفة :**

١ - هى الركن الركين فى الحج، لقوله ﷺ: «الحج عرفة» أخرجه أبو داود فى سننه.

فمن لم يوجد داخل حدود عرفات يوم عرفة ولو للحظة بطل حجه.

٢ - الدعاء فيها مستجاب ، أخرج الإمام مالك فى الموطأ أن النبى ﷺ قال : «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير»».

٣ - عموم المغفرة للحجيج بأرض عرفة : أخرج مسلم فى صحيحه عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال: « ما رؤى الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر

ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزيل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام».

● جبل الرحمة :

هو جبل صغير يتوسط أرض عرفات فى أسفله صخرات مفترشات، وقف عندها النبى ﷺ فى حجة الوداع، وقال ﷺ فيما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه : «وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف».

● من فقه عرفات :

المتأمل لمزية اجتماع الحجيج فى وقت واحد على أرض عرفة يستشعر تماسك الأمة، وللمؤمن أن يتساءل عن السر وراء هذا الجمع، بين جنسيات تباعدت، وقوميات اختلفت، وألسنة تباينت ؟

إنه الإيمان الذى يؤلف بين القلوب الشاردة، ويحرك القلوب الغافلة لتستجيب إلى خالقها.

إنه الإيمان الذى تسقط أمامه كل الرايات الزائفة.

فمتى ندرك هذا المعنى ليتخلى المسلمون عن تفرقهم وتمزقهم سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا..؟

لقد أصاب الوهن القلوب من حب الدنيا وكراهية الموت (كراهية لقاء الله تعالى) فأصبحنا فريسة سهلة تتكالب عليها الأمم وتتسابق على نهب أموالهم وثرواتهم.

على أرض عرفة ينبغى أن نتعلم كيف تلتحم الأمة، وكيف تتخلى عن التعالى والتفاخر، فملابس الإحرام ، رداء كالأكفان ، والجميع فى تضرع وخشوع ودعاء.

لقد ألغى الإسلام الطبقية والتميز التى كانت عند العرب فى الجاهلية، حيث كانت قريش تقف بالمزدلفة دون الناس، حيث يقفون بعرفات، فجاء الإسلام وألغى هذه الطبقية وهذا التميز، حيث أمر الله النبى ﷺ أن يقف بعرفات ثم يفيض منها، قال تعالى :

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة/١٩٩].

أين وعى الأمة بدورها ؟!

ومن العجيب المؤلم أن ترى كثيراً من الحجيج على أرض عرفات يتسامرون، بلغو الحديث، وربما وصل الأمر إلى الغيبة والنميمة، بدلاً من الاشتغال بما جاءوا من أجله من ذكر ودعاء، وتأمل وتدبر فيما يرتبط بهذا الموقف العظيم من عِبَرْ وعظات.

اللهم رُدَّنا إلى الإيمان رداً جميلاً.

ما أحوجنا إلى استرجاع المنهج المحمدى لحياة الأمة فى خطبة الرسول ﷺ على أرض عرفات

خطبة حجة الوداع

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة/٣] .

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذى هو خير.

أما بعد ،، أيها الناس : اسمعوا منى أُبين لكم، فإنى لا أدرى لعلِّى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، فى موقفى هذا .

أيها الناس ! إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم؛ كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم

هذا، فى بلدكم هذا، ألا هل بلَّغت ؟ اللهم فاشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

وإن ربا الجاهلية موضوع، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون. قضى الله أنه لا ربا. وإن أول ربا أبدأ به، ربا عمى العباس بن عبد المطلب.

وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به، دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

وإن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة والسقاية.

والعمد قود، وشبه العَمد، ما قُتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير. فمن زاد فهو من أهل الجاهلية. ألا هل بلَّغت؟ اللهم فاشهد.

أما بعد : أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يُعبد فى أرضكم هذه، ولكنه قد رضى أن يُطاع فيما سوى ذلك. مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم.

أيهـا الناس : إنما النسىء زيادة فى الكفـر، يُضَل به الذين كفروا يُحلّونه عامًا ويُحرمونه عامًا؛ ليواطئوا عدة ما حرّم الله، فيحلّوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات، منها أربعة حُرُم، ثلاثة متواليات وواحدٌ فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مُضر، الذى بين جمادى وشعبان. ألا هل بلَّغت ، اللهم فاشهد.

أما بعد : أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقًا ولكم عليهن حق: لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يُدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن ، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع، وتضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئًا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة

الله. فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً. ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ ما لإخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلَّغت ، اللهم فاشهد.

فلا ترجعنّ بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. فإنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله وسنة نبيه. ألا هل بلغت ، اللهمّ فاشهد.

أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد. كلكم لآدم؛ وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد. قالوا : نعم. قال : فليبلّغ الشاهدُ الغائب.

أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية. ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث. والولد للفراش وللعاهر الحجر. من ادَّعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل صرفٌ ولا عدل. والسلام عليكم.

المزدلفة

موضع بين عرفة ومنى، طولها أربعة آلاف متر وثلثمائة متر وسبعون (٤٣٧٠م)، ويطلق عليها أيضًا : جمع ؛ لاجتماع الناس بها. وذكر أهل العلم أسبابًا عديدة لتسميتها بالمزدلفة ؛ أهمها :

١ - لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة من عرفات، فالازدلاف : الدنو، والتقدم.

٢ - لاجتماع الناس ، وأيضًا لأنهم يجمعون بين المغرب والعشاء فيها، ومن معانى الازدلاف : الجمع، والاجتماع.

٣ - لأن الناس فيها تتقرب إلى الله تعالى بالدعاء والذكر، ومن معانى الازدلاف : التقرب إلى الله تعالى، ومنه قول النبى ﷺ لمصعب بن عمير - رضى الله عنه - : «فإذا زالت الشمس فازدلف إلى الله بركعتين ..». أى : تقرّب.

والمزدلفة تجمع كل هذه المعانى، وفيها كل هذه الدلالات.

● المشعر الحرام :

هو المكان المسمى (قزح) ووقف عنده النبى ﷺ فدعا ربه استجابة لأمر الله تعالى فى القرآن الكريم.

قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة/١٩٨].

وقد تم بناء مسجد كبير فى هذا الموضع. وقد وضّح النبى ﷺ أن المزدلفة كلها موقف باستثناء وادى مُحَسِّر، لقوله ﷺ فيما أخرجه مسلم : «.. ووقفت ها هنا وجمع كلها موقف» ، والمقصود بـ «جمع»: المزدلفة.

● وادى مُحَسّر :

هو طريق ضيق بين جبلين بين مزدلفة ومنى، وطوله حوالى ٥٠٠ م. وهذا الموضع أسرع فيه النبى ﷺ السير حينَ مَرَّ به فى طريقه إلى منى.

ويستحب للحاج الإسراع فى الخروج منه تأسياً برسول الله ﷺ.

وذكر العلماء سبب الإسراع فى هذا أنه نزل به عذاب الله بأصحاب الفيل حين جاءوا لهدم الكعبة المشرفة، فأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، وفيهم نزل قول الله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[الفيل/١:٥].

وسبب تسميته بوادى محسر أن الفيل حسر فيه أى أعيا وانقطع عن الذهاب.

أعاذنا الله ووقانا.

مِنـــى

سميت بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء، أى يُراق، لأن الهدى يُنحر بها.

والمسافة بين مِنى والمسجد الحرام ٧ كيلو مترات، وعن طريق الأنفاق ٤ كيلو مترات.

وحَدُّ منى من جهة مكة جمرة العقبة، ومن جهة المزدلفة وادى محسر.

ونزلت بمنى سورة الكوثر : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر ١:٣] .

وأقـــام النبى ﷺ بمنى يوم التروية (الثامن من ذى الحجة) وأيام التشريق الثلاثة ولياليها (الحادى عشر، والثانى عشر، والثالث عشر من ذى الحجة).

وفى منى أمر الله الحجيج بالذكر ، قال الله تعالى :

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [البقرة/٢٠٣].

● قصة الجمرات :

تقع الجمرات الثلاث : الصغرى، الوسطى، الكبرى، (جمرة العقبة) بمنى.

وأصلها كما روى البيهقى، عن سالم بن أبى الجعد، عن ابن عباس – رضى الله عنهما – : أن النبى ﷺ قال: «لما أتى إبراهيم – عليه السلام – المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض»

قال ابن عباس – رضى الله عنهما – : «الشيطان ترجمون، وملّةَ أبيكم تتبعون». رواه ابن خزيمة فى صحيحه، والحاكم فى المستدرك.

● جمرة العقبة وبيعة العقبة :

على بعد نصف كيلو متر (٥٠٠م) من الجمرة الكبرى كان لقاء النبى ﷺ برهط من الخزرج من الأنصار فى موسم الحج فى الجاهلية، حيث دعاهم للإسلام، وكانت بيعة العقبة الأولى، وكان عدد الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً، بايعوا النبى ﷺ على الإيمان بالله وبرسوله، والتعفف عن السرقة والزنا، وقتل الأولاد والطاعة فى الخير والمعروف.

وبعث معهم النبى ﷺ مصعب بن عمير ليقرأهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفقههم فى أمور الدين، هناك فى المدينة المنورة، ونزل ضيفاً على أسعد بن زرارة.

وفى العام المقبل كانت بيعة العقبة الثانية فى نفس موضع البيعة الأولى ، حيث عاد مصعب مع جمع من أهل المدينة، وبعد مضى ثلث الليل اجتمعوا وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من النساء، فبايعوا النبى ﷺ ، وطلبوا منه أن يظل

معهم، وأن لا يرجع إلى قومه، فوعدهم النبى ﷺ بذلك وقال لهم ﷺ : «أنا منكم وأنتم منى».

واختار النبى ﷺ منهم اثنى عشر نقيبًا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

● موعظة :

ليتنا نتعلم الدرس حين نمر بهذه البقاع، ونتخذ رسول الله ﷺ قدوة فى السعى لتحقيق المقاصد، والوصول إلى الهدف، ومهما اشتدت بنا الأزمات فلا نستسلم أو يصيبنا إحباط، لقد طُرِدَ النبى ﷺ وأُوذى من أهل الطائف، وحاربه أهل مكة، وضيقوا على أصحابه، وعاملوهم بالإيذاء والسخرية والتجويع، والقتل .. وعلى الرغم من كل هذا فإن رسول الله ﷺ يعلمنا أن لا نفقد الأمل ، يعلمنا ألا ننهار فى أوقات الشدائد، يعلمنا أن نسعى مهما كانت النتائج قليلة، فأول الغيث قطر ثم ينهمرُ.

● خيالات الناس فى رمى الجمار :

للناس خيالات فى رمى الجمار تبعدهم عن المقصود من هذه العبادة، وهو تدريب العبد على التسليم لأمر الله تعالى، فالله تعالى خالق العقل، وقد يعجز العقل، وكثيراً ما يعجز عن الوصول لحكمة أمر من الأوامر الإلهية الثابتة فى القرآن وصحيح السنة النبوية المطهرة، فهل يعطل الإنسان أمراً من أوامر الله لأنه لم يصل بعقله إلى الحكمة من هذا الأمر؟ أم يسلم إلى خالقه، إن أحدنا يسلم أمره فى مرض ما إلى طبيبه، فإذا سألته : لماذا تأخذ هذا الدواء ؟ أجاب : لأن الطبيب وصفه لى. وهكذا فى كل مجال من مجالات الحياة يسلم الإنسان إلى من هو أكثر علماً وخبرة، فكيف بالإنسان لا يسلم كل قياده ونفسه وقلبه وعقله وكله إلى ربه الذى خلقه فسواه، ويعلم ما يصلحه وما يفسده، سبحانه وتعالى قال : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك/١٤] .

وفى الحج نتعلم هذا الدرس، درس التسليم لله تعالى، فهذا حجر يرمى عند الجمرات، وهناك بالكعبة حجر يُقبل، سبحان الله.

إن أوامر الله تعالى ليست موضعًا للمناقشة، والإنسان حيث يضع نفسه، فإذا وضع الإنسان نفسه فى موضع مناقشة الأمر الإلهى فقد تخلى عن الإيمان لقوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب/٣٦].

إن بعض الناس يحلو له التعالم على الله، وهذا التعالم يخرجه عن دائرة الإيمان، ولو كان الأمر صادراً عن بشر، لجاز للآراء أن تتحاور وتتجادل، أما إذا كان الأمر من الله فإن الاعتراض على الأمر الإلهى لون من التبجح، يُخرج الإنسان عن دائرة الإيمان بالله تعالى.

فما بالنا بالذين يناقشون حدود الله تعالى من أهل

الإيمان؟ إن أمرهم حقًا لعجيب ! أوامر الله لا تناقش فهو القاهر فوق عباده .. المتصف بكل كمال .. إنه فوق كل شىء .. إنه العليم، ونحن بشر والنقص من صفاتنا.

أما أهل الإيمان فشأنهم المسارعة بالاستجابة إلى أمر الله تعالى؛ عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : لما نزل على رسول الله ﷺ : ﴿لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة/٢٨٤] . اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الرُكب، فقالوا : أى رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والجهاد والصيام والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. قال رسول الله ﷺ : «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فلما اقترأها القوم

وذلـت[1] بها ألسنتهم، أنزل الله تعالى فى إثرها : ﴿آمَـنَ الرَّسُـولُ بِمَـا أُنزِلَ إِلَيْـهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُـؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِـهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة/٢٨٥]. فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى[2]، فـأنزل الله عز وجل : ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قـال : نعم ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال : نعم ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: نـعـم ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/٢٨٦] قال : نعم». [رواه مسلم]

---

(١) فلما قرأها القوم سهلت على ألسنتهم واستسلموا لها.

(٢) أكثر المفسرين من الصحابة ومن بعدهم على ما تقدم فيها من النسخ.

قد تضعف النفس فلا تقوى على طاعة أمر الله تعالى، وبحسب الإنسان ساعتها أن يعترف بالنقص والخطأ، ويسأل الله العافية من هذا البلاء الذى حل به، وكما يقول الرسول الكريم ﷺ : «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون». [رواه الترمذى وابن ماجة].

أما أن يُخضع الإنسان أمر الله العلى لعقله المحدود ولهوى نفسه، أو تأخذه العزة بالإثم.. فهذا هو الهلاك بعينه؛ يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[البقرة/٢٠٦].

وعن أبى مسلم : «أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال : «كل بيمينك» قال لا أستطيع. قال ﷺ : «لا استطعت؛ ما منعه إلا الكبر» فما رفعها إلى فيه» [رواه مسلم].

● صور مؤسفة عند الجمرات :

أمة الإسلام، جعلها فى المقدمة أمام الأمم، جعلها خير

أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

وعلمنا الإسلام رعاية الغير (الآخر) والحرص عليه وبخاصة إذا كان أخًا مسلمًا طائعًا، وهناك آيات القرآن تحثنا على خُلق الإيثار والإحسان إلى الغير، ولين الجانب والرفق ومنع الأذى.

والنبى ﷺ ينادى فى الأمة فى حجة الوداع أثناء تحركه بالصحابة - رضى الله عنهم - قائلاً : «أيها الناس : السكينة السكينة ...». أى : الزموا السكينة لأنكم فى عبادة.

لكن حال الحجيج عند الجمرات وفى مِنى يناقض الصورة الإيمانية المشرقة.

فأنت تجد التدافع الذى يصل إلى حد إيذاء الغير.. والذى قد يصل إلى الموت - عند الجمرات - وهناك أيضًا مبالغات هى من تلبيس إبليس على الناس لأنها تخرجهم

عن حد السنة، فهناك من يرمى بالحذاء وهناك من يسبُّ الشيطان بألفاظ لا يصح ذكرها كسبِّه بالأم والأب .. إلخ. وكلها مخالفات صريحة.

وحديث الناس فى مِنى - فى الأعم الأغلب - يدور حول لغو الحديث وباطل الكلام، إن هذه الصورة تؤكد لنا أن وعى الأمة مفقود، وأن العبادة فى مفهوم كثير من الناس تحولت إلى حركات بالجسد لا يواكبها ما أوصى به النبى ﷺ من خلق حسن وإحسان وإيثار.

إن العبادات تشكل الإنسان تشكيلاً إيمانيًا، ليكون الإنسان عبداً لله تعالى، ويتحرر من كل ألوان العبودية الأخرى، العبودية للشهرة أو المال أو المنصب .. وغيرها من زخارف الدنيا التى تغتالنا يومًا بعد يوم.

اللهم رُدَّنا جميعًا إلى الحق والصواب.

أيضًا ينبغى التأسى برسول الله ﷺ فى الأخذ بالأيسر

للتيسير على الناس وتفادى الضرر.

فقد أخرج البخارى فى صحيحه أن عائشة - رضى الله عنها - قالت : «ما خُيِّر النبى ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه».

● **مسجد الخيف :**

يقع بمِنى جنوبًا، وفى مكانه موضع الخيمة التى أقيمت للنبى ﷺفى حجة الودا ع، حيث صلى فى هذه الخيمة الأوقات الخمسة من ظهر يوم التروية إلى فجر يوم عرفة، وورد أنه صلى فيه سبعون نبيًا منهم سيدنا موسى - عليه السلام.

فسل الله أن ييسر لك الصلاة فيه والدعاء والذكر.

خاتمــــة

- بعـد هذه الرحلة الإيمانيـة مع البـقـاع الشـريفـة بمكة والمدينة، لعله ظهر لك أخى المؤمن مكانة هذه البقاع فى تاريخ الدعـوة إلى الله تعـالى، منذ لحظة الميـلاد الأولى لخلافـة الإنســان فى هذه الأرض، بنزول سـيـدنا آدم - عليه السلام - وبداية رحلة الإنسان على هذه الأرض.
- ولعله ظهـر واضـحًا لك - أيها المؤمن - أن الله استبقى آيات ظاهـرة فى هذه الأمـاكن؛ لتكون دليـلاً على المواقف الإيمانيـة، التى حدثت عليها ؛ كى تُذكرنا بهذه المواقف؛ وكى تظل العظة والعبرة فيها حية دائمة على مر الزمان يعتبر بها المؤمنون وتزيدهم إيمانًا مع إيمانهم.
- ولعله ظهـر واضـحًا لك ، أن تعظيم الأمـور على حقيقتهـا، إنمـا يكون بما عظَّمــهــا الله به، من نزول الرحــمــات والبـركـات والمغـفـرة، وواسـع الفـضل من الله تعالى على

هذه البقاع وإلا فالأماكن كلها لله تعالى.

• ولعله ظهر واضحًا لك أيها المؤمن أن البركات والرحمات التى ارتبطت بهذه الأماكن تتوقف الإفادة منها على سلوك الإنسان وفعله، فهى للمؤمنين شفاء ورحمة ومغفرة، ولا تزيد الكافرين الجاحدين إلا خسارًا.

وهذا يعنى أن الأرض لا تقدّس أحدًا إنما يقدس الإنسانَ عملُه، ويؤكد هذا المعنى أن أبا الدرداء أقام فى بيت المقدس وسره ذلك، فكتب إلى سلمان الفارسى يقول له: «هلمَّ إلى الأرض المقدسة»، فكتب إليه سلمان يقول: «إن الأرض لا تقدس أحدًا إنما يقدس الإنسانَ عملُه».

• ولعل هذا يصحح مفهومًا مغلوطًا عند كثير من الناس الذين يقيمون على المعاصى، ثم يذهبون إلى هذه البقاع الشريفة دون توبة صادقة، أو هؤلاء الذين يتخذون من الحج والعمرة ستارًا على مخالفتهم المتعددة.. ونحو ذلك من صور المفاهيم المغلوطة والوعى المفقود لدى الأمة.

● ولعله ظهر لك أيها المؤمن أن العظة والعبرة التى ارتبطت بالمواقف الإيمانية لسادتنا الأنبياء فى هذه البقاع ليست وقفًا على الحجاج والمعتمرين والزوار، بل هى عامة لكل مسلم يرجو الله واليوم الآخر، كيف لا؟! وقد خلد الله ذكر كثير من هذه المواقف فى آيات القرآن الكريم، لتنتفع به الأمة عامة.

● ولعله ظهر واضحًا لك أيها المؤمن أن ما تم بهذه البقاع الشريفة من مواقف إيمانية دعوة صريحة للأمة إلى إحياء قيم مفقودة فى حياتنا المعاصرة من أهمها :

- التضحية والفداء فى سبيل إقامة دين الله تعالى فى نفوسنا وأولادنا ومجتمعنا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة/٢٠٧].

- تعظيم أوامر الله عز وجل، فمن عظَّم أمر الله عظَّم الله

شأنه ورفع منزلته، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج/٣٢].

- تقديم أوامر الله على حظ النفس، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة/٢٤].

- الإخلاص لله تعالى والصدق معه فمن صدق الله يَصْدُقه، وسبحان الله القائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة/١١٩].

- حسن الأخذ بالأسباب، فكما أمرنا الله بأن نؤمن بالغيب، فقد كلفنا بالأخذ بالأسباب، فالجوارح تعمل والقلوب تتوكل، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى

اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق/٢].

- قيمة المواصلة دون إحباط أو يأس ، ومن أحداث البقاع الشريفة نتعلم الحكمة : واصل تصل.

إنها فى مجملها صور إيمانية حية يهدى بها الله قلوب الذين آمنوا به واتبعوا رسوله ﷺ .

فاللهم اجعلنا من خيرة أتباع المصطفى ﷺ

واجعلنا من الذين يستمعون فيتبعون أحسنه

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات

الصفحة